THE BOOK WAS DRENCHED

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190884

UNIVERSAL
LIBRARY

OUP—786—13-6-75—10,000.

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ٤٨٣ ط ر Accession No. A 173

Author طانيوس كبره

Title رواية البنت المريبة

This book should be returned on or before the date last marked below.

رواية

ابنة المركيز

تعريب

الكاتب الروائي الشهير المرحوم

ألكسندر ديماس

حقوق الطبع محفوظة للملتزم طبعها ونشرها

نجيب مترى

صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

١٩٢٨

تمهيد

CHECKED 1965

خسر الأدبُ العربيّ فى وفاة طانيوس عبـده شاعراً رقيقاً وروائياً متفننًا وكاتبًا فيَّاض القريحة . قضى بعد حياة كثيرة الجهاد تناوَبهُ فيها البؤس والنعيم وذاق فيها حلو العيش ومرَّه

وصفه حضرة صاحب العزة الكاتب الكبير انطون الجميّل بك قال .

ما جلستُ يومًا الى طانيوس عبده الاَّ نظرتُ طويلاً الى ابتسامتهِ وهى أشبهُ شىء بالكَتَمَة ، تشترك فيها شفتاه وعيناه ، فترتسم — فى حديثهِ وعند سكوتهِ — ارتسامًا غريبًا حاولتُ كثيراً إدراك معناه : أهى ابتسامة رضى واهتمام ، أم ابتسامة ترهُّدٍ وازدراء ؟ أهى آية ارتياح وطمأنينة ، أم أثرُ ألمٍ جرح نفسًا مكلومةً حريصة . إنها لابتسامةٌ غريبة مبهمة ، كأنها نشأت فى خفايا ضلوعه فلا ترى مصدرها ، ثمَّ ظهرت عند فجوةِ فمه ، فاستقرَّت لحظةً على زاوية شفتهِ ، ثمَّ ذهبت صعوداً الى عينهِ ، فغارت منها فى دماغهِ . وما كان أنفه الأقنى ، وقد اعترضها فى الطريق التى ارتسمتها ، إلاَّ ليزيدها إبهامًا ولبسًا . فتمتى عندها بين الشك واليقين أهى أثر دمعةٍ جمدت فى عينيه ، أم بدايه ضحكةٍ ستنطلق من بين شفتيه ؟ أهى الغلس الذى يعقبه إشراقُ النهار ، أم الشفق الذى يُنذرُ بزوال الأنوار ؟ . . »

وكان للمرحوم طانيوس عبده منزلةٌ رفيعة فى عالم الأدب ، ولا سيما فى الروايات القصصية : فقد ترجم ووضع منها ما لم يسبقه اليه كاتب ، ولقيتْ رواياته رواجًا كبيراً لما امتازت به من سهولة الانشاء ولطف الأسلوب وتنوُّع الوقائع .

وكانت « مكتبة المعارف » قد اتفقت معه قبل وفاتهِ ببضعة أشهر على روايتين ، لعلهما آخر ما كتب ، دفعهما اليها قبل سفره الأخير الى لبنان حيث أدركته المنية مأسوفًا عليه مذكوراً بآثاره القلمية

فنقدّم الى القراء اليوم أولى هاتين الروايتين وهى رواية « ابنة المركيز » آملين أن نقدم لهم فى فرصة قريبة الرواية الثانية وهى « ملك النَّوَر » وبالله التوفيق

القاهرة فى ١٢ يناير سنة ١٩٢٨

نجيب صقر
صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها

رواية
ابنـــة المركيز

القسم الأول

فى يوم أحد من أواخر سنة ١٨٨٦ كانت فتاة صبية تسير هائمة على شاطىء النهر الأيسر. وكانت تمشى مشيًا بطيئا وعيناها منخفضتان الى الأرض وهى تراقب من حين الى حين مجرى المياه وتنظر الى تيارها السريع نظرات ملؤها اليأس

وكان يوحد ثلاثة قوارب راسية على ابعاد مختلفة عند الشاطىء وقد هبط الظلام وساد السكون فلم يكن يسمع أنين الرياح من هدير التيار

أما الفتاة فانها لم تكترث لهبوط الظلام بل انها لم تنتبه اليه

ولم يكن يستوقف نظرها من كل ما يحيط بهـا فى ذلك الخلاء غير الأمواج فكأنها قد تجردت عن الحياة الجسدية فلم تخف الوحـدة فى الظلام ولم يرهبها ذلك السكون ولم تتألم من البرد القارس الذى كانت ترتعد له الفرائص

وكان رجل يسير وراءها متلصصًا تخفيـه الأدغال وتلبد الضباب وعلائم القلق بادية فى عينيه كأنما سعادته موقوفة على ما ستحريه هذه الصبية فلو كان يريد ارتكاب جريمة لما لقي ما يصده عن ارتكابها لخلو المكان ولأنه كان يقفو أثرها منذ نصف ساعة ولكنه كان يكتفى بمراقبتها

وكان هذا الرجل أحد أصحاب القوارب الثلاثة الراسية ومهنته التقاط جثث المنتحرين الذين يقصى عليهم اليأس بالانتحـــار غرقًا فى النهر فيدفعونها الى البوليس و يقبضون عنها جزاء معينا

وقد صحت أمانى هذا المراقب فانه بينما كان يسير وراءها رآها القت بنفسها الى المياه فوثب الى قاربه فأضاء مصباحًا فيه وجعل يجدف الى المكان الذى القت بنفسها اليه

ولكنه لم يلبث أن شتم شتما قبيحًا اذ رأى قاربًا مسرعًا الى العريقة من الصفة الأخرى فاسرع بالتجديف وهو يقول فى نفسه انه سينالها قبلى

وكأن مراحمه قد علم ما يجول فى نفسه فأجابه قائلاً : لقد خابت أمانيك فسأصل اليها قبلك

قال خسئت أيها النذل فهى لى

قال بل هى لى أيها اللص

ثم ألقى كل منهما شبكته فكانت العريقه من نصيب النوتى الثانى فاجتذبها الى قاربه

اما النوتى الأول فانه وثب الى قارب خصمه ووقف كل منهما ينظر الى الآخر نظرة الحقد ثم عرف كل منهما صاحبه على نور المصباح فقال الأول للثانى

اننا سنشترك بالجائزة فانك غنى يا كاباريت أما أنا فان لى أولاداً وهم جياع فى البيت

فتمعن كاباريت هنيهة ثم اخرج من جيبه ريالاً ونقده اياه

فبرقت عيناه وقال لعله يوجد فى حيبها نقود

قال لا أعلم أتقبل هذا الريال أم ترفضه

قال لقد رضيت ، فخذها

ثم عاد الى قاربه وانصرف فسار كاباريت بالغريقة ووضع أذنه بعد هنيهة على قلبها كأنه خشى تقريع الضمير فلم يسمع لها نبضاً وأيقن من موتها فجردها من ملابسها فلم يبق عليها غير الملاس الداخلية كأنه كان يعمل بأمر صادر اليه

حتى اذا فرغ من ذلك ربط وسطها الى حبل والقاها فى النهر بعد أن ربط طرف الحبل الى دفة القارب بحيث باتت معلقة به وهى فى المياه

ثم وصل الى الشاطىء فربط قاربه فى مرساه وهو يقول فى نفسه

انى سأدعها تستحم بضعة أيام فى هذه المياه فأضمن ثروتى

أما تلك المنكودة التى كانت نائمة تحت القارب نومها الابدى فلم يكن يخشى على جسمها الغض الا أن تمر به الحيتان

وأما كاباريت فانه ترك القارب فى مرساه وسار الى كوخ صغير كان يبيت فيه فبات ليلته وعند الصباح تنكر بشعر مستعار وذهب الى شارع هوسمان فى باريس فوقف عند منزل كان أجمل منازل ذلك الشارع وسأل البواب قائلاً

هل سيدى الكونت توريلى هنا

* * *

قبل هذه المقدمة التي نبدأ بها هذه الرواية بمصعة أسابيع حدث حادث خطير فى شارع استبير اضطرب له سكانه

ذلك انهم وجدوا رجلاً قتيلاً فى فراشه وهو رجل كان مشهوراً بينهم بالثروة والاحسان فكان الجميع متفقين على حبه

وقد بذل رجال البوليس جهدهم فى سبيل معرفة الجانى فلم يتصلوا الى معرفته

أما القتيل فكان يدعى المركيز دى أوكير ورث من أبيه ثروة عظيمة واسماً شريفًا فان أسرته كانت من أشرف أسرات الجنوب فى فرنسا

وكانت أمه ايطالية تزوجت قبل المركيز كونتا ايطاليًا وولدت منه غلامًا اسمه الكونت كلوفانى توريلى

ثم تزوجت المركيز بعد وفاة زوجها فولدت منه المركيز روكبرين وعاش الولدان معًا منذ الحداثة الى عهد الصبا فلم يفترقا الا حين تزوج المركيز

وذلك أن الكونت والمركيز كانا يحبان فتاة واحدة فساءه انها فضلت أخاه عليه وبرح باريس عائداً الى ايطاليا

وكان قبل رحيله طلب الى أمه أن تعطيه حصة من ارث أبيه فكان ذلك سبباً آخر لاثارة الحسد فى قلبه على أخيه فان ثروته لم تكن تبلغ عشر معشار ثروة أخيه المركيز فسافر وقلبه ملؤه الحقد

وكرّت الأعوام فماتت أم الكونت ووالد المركيز وعاش المركيز فى أهنأ عيش بفضل ثروته العظيمة فلم يكن ينغصه الا أنه لم يلد له ولد يرثه ولم يكن له فى ذلك العهد غير وارث وحيد وهو أخوه الكونت

ولكن أخباره انقطعت عنه من عهد بعيد فلم يعلم أهو ميت أم هو فى قيد الحياة

ثم ولدت له امرأته بنتًا فكان فرحه عظيما غير أن هذا الفرح لم يطل فانهم يوم عمدوا الطفلة باسم لوسيانا ماتت المركيزة فكان يومًا شديداً على المركيز هجر بعده الحفلات وانقطع عن عشرة الناس فعاش بجانب بنته عيشة العزلة والانفراد وجعل يربيها وهو لا يجد النعيم الاّ بها الى أن بلغت العشرين من العمر و بلغ الخمسين

وكانت ترفض الخطّاب لشدة تعلقها بأبيها غير أن أباها لم يكن يرضى أن تضحى حياتها من أجله ففتح أبواب قاعاته لأصحابه وقبل أن تغتاله يد الجريمة ببضعة أسابيع كان قد احتار لها خطيباً أعجبه أدبه وكرم قلبه وهو فتى فى نضارة الشباب يدعى روبرت دى لنتراك

* * *

أما التحقيق فى قضية مقتل المركيز فلم ينحلِ الاّ عن هذه النتيجة وهى أنه قبل قتله بيوم اجتمع ببنته وقال لها انى سأدعك مع مربيتك مدة يومين فانى مضطر إلى التغيب لاعداد منزلنا الصيفى فى استبير كى تستطيعى استقبال أصحابك فيه كما تستقبلينهم هنا

فوافقته على ما أراد وسافر ومعه قيمة خمسة آلاف فرنك

أما هذه القيمة فقد فقدت بعد قتله ولم يبقَ فى درجه غير حوالتين من الحوالات المالية التى تدفع لأمر حاملها مما يدل على أن القاتل اما أن يكون تسمع صوتًا من الخارج فتركهما وأمعن فى الفرار واما أن يكون جهل قيمتهما وحسبهما من الأوراق العادية

ولم يكن عرف أمر سفره كما أسفر التحقيق غير ثلاثه وهم ابنته وخطيبها وخادم غرفة المركيز وهو ايطالى يدعى ريبو كان يظهر انه شديد الاخلاص لسيده

أما ابنته فلم يكن سبيل الريب بها وأما خطيبها فقد ظهر من حزنه على المركيز ما حوّل عنه أنظار المحققين وأما ريبو فقد ثبت أنه لم يبرح المنزل

ولذلك توهموا أن الجريمة ارتكبها لص عادى دخل إلى منزل المركيز الصيفى للسرقة اذ لم يكن يوجد فيه أحد عادة فباغته المركيز بدخوله فاضطر إلى قتله

غير أنه بقى مجال للشك وهو انهم افتقدوا الجياد فى الاصطبل فوجدوها تنقص جوادا وبعد يومين لقوه فى الخلاء وقد لف راكبه حوافره بقطع الثياب كى لا يسمع وقع تلك الحوافر

ثم رأوا فى الاصطبل على ظهر الجواد الذى كان مربوطًا بجانب الجواد المفقود أثر أصابع مغمسة بالدم

ولكنهم مع كل ذلك لم يقفوا على شيء وكل ما علموه بعد تشريح الجثة ان الجناية حدثت عند انتصاف الليل و بعد أسبوع أسدل حجاب الظلمات على هذه الجريمة

* * *

كان المركيز فى العامين الأخيرين قبل قتله كثير التفكير شديد الكآبة فلم يعلم أحد سبب حزنه حتى ابنته

وذلك أنه كان نائمًا فى ليلة فنهض مذعوراً اذ سمع خادمه يوقظه وقال له :

ماذا حدث ألعل ابنتى مريضة ؟

قال كلا يا سيدى المركيز ولكن يوجد رجل فى قاعة الانتظار يلح كثيراً بمقابلتك

— أفى هذه الساعة ؟

— لقد قلت له انك نائم يا سيدى

— أ ألح بعد ذلك

— نعم وقد اكد لى يا سيدى انك متى عرفت من هو لا تغضب علىّ لايقاظك

— ماذا يدعى

— لقد أبى أن يذكر لى اسمه قائلاً انه يريد أن يباغتك وانك ستسر من هذه المباغتة

فوافقته على ما أراد وسافر ومعه قيمة خمسة آلاف فرنك

أما هذه القيمة فقد فقدت بعد قتله ولم يبقَ فى درجه غير حوالتين من الحوالات المالية التى تدفع لأمر حاملها مما يدل على أن القاتل اما أن يكون تسمع صوتًا من الخارج فتركهما وأمعن فى الفرار واما أن يكون جهل قيمتهما وحسبهما من الأوراق العادية

ولم يكن عرف أمر سفره كما أسفر التحقيق غير ثلاثة وهم ابنته وخطيبها وخادم غرفة المركيز وهو ايطالى يدعى ريبو كان يظن انه تمديد الاخلاص لسيده

أما ابنته فلم يكن سبيل للريب بها وأما خطيبها فقد ظهر من حزنه على المركيز ما حوّل عنه أنظار المحققين وأما ريبو فقد ثبت أنه لم يبرح المنزل

ولذلك توهموا أن الجريمة ارتكبها لص عادى دخل إلى منزل المركيز الصيفى للسرقة اذ لم يكن يوجد فيه أحد عادة فباغته المركيز بدخوله فاضطر إلى قتله

غير أنه بقى مجال للشك وهو انهم افتقدوا الجياد فى الاصطبل فوجدوها تنقص حوادا وبعد يومين لقوه فى الحلاء وقد لف راكبه حوافره بقطع الثياب كى لا يسمع وقع تلك الحوافر

ثم رأوا فى الاصطبل على ظهر الجواد الذى كان مربوطًا بجانب الجواد المفقود أثر أصابع مغمسة بالدم

ولكنهم مع كل ذلك لم يقفوا على شيء وكل ما علموه بعد تشريح الجثة ان الجناية حدثت عند انتصاف الليل و بعد أسبوع أسدل حجاب الظلمات على هذه الجريمة

* * *

كان المركيز فى العامين الأخيرين قبل قتله كثير التفكير شديد الكآبة فلم يعلم أحد سبب حزنه حتى ابنته

وذلك أنه كان نائمًا فى ليلة فنهض مذعوراً اذ سمع خادمه يوقظه فقال له :

ماذا حدث ألعل ابنتى مريضة ؟

قال كلا يا سيدى المركيز ولكن يوجد رجل فى قاعة الانتظار يلح كثيراً بمقابلتك

— أفى هذه الساعة ؟

— لقد قلت له انك نائم يا سيدى

— ألح بعد ذلك

— نعم وقد اكد لى يا سيدى انك متى عرفت من هو لا تغضب علىّ لايقاظك

— ماذا يدعى

— لقد أبى أن يذكر لى اسمه قائلاً انه يريد أن يباغتك وانك ستسر من هذه المباغتة

فنهض من سريره ولبس ثيابه وهو يمعن الفكرة عله يعرف هذا الرجل الذى يزور الناس عند انتصاف الليل فلم يهتدِ اليه

فلما أتم لبس ثيابه خرج من غرفته الى قاعة الانتظار فلم يكد يفتح بابها حتى صاح قائلاً بملء الاندهال

حيوفانى . . أخى

وقد كان اندهاشه عظيماً حين رأى أخاه الكونت بعد غياب خمسة وعشرين عامًا

حتى اذا زالت تأثيرات الدهشة الأولى أخذا يتحدثان فحكى كل لأخيه حلاصة ما جرى له فى مدة هذا الفراق

وكان هذا الكونت يتحدث وعليه علائم التفكير والتردد الى أن ظهر عليه فجاءة أنه أقر على ما كان يتردد فيه فباغت المركيز بقوله

انك تستطيع أن تسدد شرفى يا أخى

فأجابه المركيز قائلاً قل مادا تريد

قال انى مدين بمائة ألف فرنك — متى تحتاج اليها ؟

— غدا

— يظهر أنه دين مقامرة لا بد من وفائه فى مدة أربع وعشرين ساعة

فاطرق برأسه وقال نعم

— غداً أعطيك هذا المبلغ

— أشكرك يا أخى فقد أحييتنى

وقد أقام عنده هنيهة يتحدثان فى أمور مختلفة ثم ودعه وانصرف فشيعه المركيز الى الباب وعاد وهو شديد الهواجس من عودة أخيه الفجائية فانه لم يكن يأسف لخسارة المال ولا سيما حين ينفقه على أخيه ولكنه آسف أن يكون أخوه قد بلغ مبلغ الكهول ثم يرتكب هذا الخطأ فيقامر دون أن يكون له مال ولا يأتى اليه الاّ لهذا الغرض فلو لم يكن محتاجًا اليه لوفاء دينه لما زاره بعد انقطاع أخباره هذا العهد الطويل

***

ولقد كان المركيز مصيبًا فى هواجسه فان أخاه الكونت كان قد عاد الى باريس منذ خمسة أعوام بعد أن أقام أعوامًا كثيرة فى عواصم ايطاليا كرومة ونابولى وفلورنسا فأنفق فيها كل ما ورثه عن أبيه

وكان قد بلغ من العمر سبعــة وأربعين عامًا حين عاد الى باريس ولكنه كان لا يزال فى مظاهر الشباب بالرغم عن استرساله الى ملاهى الصبا

وقد كان طويل القامة براق العينين جميل الوجه حلو اللسان أى أنه كان لا يزال فى حالة يستطيع فيها استمالة الحسان اليه فجعل كل أسبوع يقيم فى شارع فلم يمر به عام حتى عرف باريس أتم عرفان

وكان شديد الشغف بالمال لا ليكنزه بل لينفقه على ملاذه عن سعة فجعل يحتال على المال غير مدخر حيلة ولكنه كان يحتفظ بسمعته ويحرص على اسمه خلافًا لما كان يجرى عليه فى ايطاليا توصلا الى الغاية التى كان يسعى اليها

وقد اتفق يوماً أنه كان يسير وهو تائه فى مهامه التفكير فما انتبه الى نفسه الا وهو فى احدى الحدائق العمومية فجعل يسير فيها متنزهاً وهو لا يدرى ما جاء به اليها

وفيما هو يسير رأى امرأة تلبس ملابس أهـل نابولى تسير أمامه فاقتفى أثرها حتى رآها جلست على مقعد

ولم يكن يوجد فى ذلك المكان من الحديقـة أحد من الناس فمشى حتى انتهى اليها فنظرت اليه وقالت له باللغة الايطالية منذهلة

أهذا أنت ياسيدى الكونت

فأجابها بمثل لهجتها قائلاً

من أرى . . . جينانيسا . . . أأنت هنا فى فرنسا

قالت : نعم ولكنى ما أتيت وحدى الى باريس بل جئت مع ريبو زوجى ومع ابنتى فرنسيسكا التى بلغت الخامسة عشرة من عمرها الآن

وقد وقفت احتراماً لمحدثها فانه أنف أن يجلس بجانبها كى لا يقال انه يجالس العوام فقال لها

ألعلكم راضون بالمعيشة هنا

قالت بل اننا على أسوأ حال كانما الله قد تخلى عنا فان ريبو لا يجد عملاً يرتزق به وأنا لا أجد عملاً وأكره الارتزاق من مصدر غير محمود

قال ان الحياة شديدة على الأغراب فى باريس فما أتى بكم اليها فان الرزق أيسر هناك

قالت لقد انقطع رزقنا فى نابولى بعد سفرك منها فان زوجى سيء السمعة كما تعلم فلم نجد من يشفق علينا ولذلك أتينا الى باريس على رجاء أن نجدك فيها

قال بل ان ريبو أقدم على أمر اضطررتم بعده الى الفرار

قالت كلا يا سيدى الكونت

قال لا تنكرى فانى أعرف من زوجك ما لا تعرفين ولا شك أن البوليس الايطالى كان فى أثره ولكنكم تمكنتم من الفرار

اليس كذلك

– كلا كلا

– بل انى أقول الحق وأعلم أنك تحبين هذا الشقى ولذلك بقيت معه بالرغم عن آثامه

فوضعت يديها على وجهها وقالت أيمكن أن أتخلى عن زوجى

قال نعم فقد كان يجب أن تتخلى عنه كى يشقى وحده الشقاء الذى يستحقه ولا تعاقبين أنت وابنتك بذنبه فانه اذا كان حبك لم يرجعه عن غيه فلم يبق سبيل الى اهدائه

فسالت الدموع من عينيها وقالت له بصوت مختنق رحماك أشفق علينا يا سيدى الكونت

قال لقد كان أولى به أن يكون مشفقاً

قالت نعم ولكنك كريم القلب يا سيدى وأنا أتوسل اليك أن تجد

له عملاً فانه يحب العمل ومتى كان يشتغل لا تخطر له الاساءة فى بال وأما اذا احتاج الى المال فهو يسرق حتى من بيت الله

– وأنت تغفرين له دائمًا

– نعم أغفر له لأنى أحبه فقد تعاشقنا طفلين

فأخذ الكونت يدها بين يديه وقال لها

انى سأهتم به من أجلك فقط وأنا لا أعدك بشىء اليوم ولكنى أعدك بأن أبحث

قالت انى سأنتظر يا سيدى

قال أين تقيمون ؟

فدلته على المكان الذى يقيمون فيه وانصرفت مسرعة دون أن تجسر الى النظر اليه كأنها كانت تخشى أن يشترط عليها شرطًا شائنًا فى سبيل هذه الخدمة

فوقف يشيعها بنظره وهو خافق القلب فانه رأى بعد بضعة أعوام تلك المرأة التى أحبها وجسرت على صده وهى من عوام الناس

* * *

على أن تفكيره بها لم يطل وعاد الى فكره القديم الذى لم يكن يشغله سواه وهو التزوج من فتاة غنية

وكان قد أعد عدته من قبل . وتعرف بأسرة رجل من كبار تجار الحرير كان له بنت تدعى ادريانا وهى فى التاسعة عشرة من عمرها فأعجبته ثروتها وأعجبها لقبه

ثم عقدت الخطبة بواسطة صديق للكونت وللتاجر وكان الكونت قد قال له مرة :

انى لست غنياً كأبنتك ولكنى لست بفقير

فلما كان وقت كتابة شروط الزواج خلا الوسيط بالكونت وقال له :

لقد قلت لى انك تملك مائتين وخمسين ألف فرنك فكيف تقول لى الآن انه ليس لديك غير مائة وخمسين ألفاً وكيف أعلل هـذا التغيير وماذا أقول لأبيها ؟

قال لقد صدقت ولا بد من الحصول على المائة ألف فرنك

وقد كان للكونت أصدقاء كثيرون ولكنه كان معروفاً بينهم بأنه ليس من كبار الأغنياء فمن عسى يسلفه هذا المبلغ العظيم

و بعد أن فكر كثيراً فى أمره خطر له أخوه المركيز وانه لا يتسنى له الحصول على هذا المبلغ إلاَّ من هذا الأخ

وعند ذلك أخذت الكبرياء والمطامع تتنازعه ولا سيما أنه لم يزر أخاه وهو فى باريس منذ خمسة أعوام

الى أن تغلبت المطامع على الكبرياء فذهب الى أخيه وسأله أن يقرضه هذا المبلغ فوعده خيراً كما تقدم

وفى اليوم التالى أعطاه المركيز المبلغ فشكره شكراً جميلاً وقال له

انى لم أستلف منك هذا المبلغ لوفاء دين قمار كما أوهمتك بل لعقد زواج شريف يليق بنا .

فسر المركيز بذلك وسأله عن خطيبته وأهلها أسئلة كثيرة ثم سأله عن عمرها فقال له

انها لم تتجاوز العشرين

قال إذن لها عمر ابنتي لوسيانا

– وستغدو أمرأتي صديقتها اذا أذنت

– كيف لا أأذن يا أخي بل انى أتمنى فمتى يكون رواحك

– ستكون أول من يعرف تاريخ عقده فانى معتمد على حضورك وبعد أن تحادثا هنيهة قال له المركيز

ان لوسيانا تعزف على البيانو الآن فتعال أعرفك بها فانها لا تعرف عمها بعد

* * *

أعدت لوسيانا معداتها لحضور زواج عمها وهى لا تعلم بعد أن خطيبته من صديقاتها فانه لم يذكر لها اسمها بل قال انها من عائلة ديباستيان

فلما جاءتها الدعوة وقرأت اسم الخطيبة صاحت صيحة دهش فقال لها أبوها ما هذا الاندهاش يا ابنتى

قالت لويزا ديباستيان

قال نعم وهى خطيبة عمك

قالت وهى أيضاً خير صديقاتى فى المدرسة وانى أود أن أزورها قبل الزواج فهل تأذن لى يا أبى

قال دون شك وانى يسرنى أن تكون صديقتك

وفى الساعة الرابعة من ذلك اليوم زارتها وتحدثتا مليًا بشأن هذا الزواج الى أن سألتها لويزا قائلة ألاّ تجدينه كبيراً بالنسبة لى

قالت كلاًّ فان عمى لا يزال له رونق الشباب وكنت أحسبه من الكهول

– كيف تقولين كنت تحسبينه

– ذلك انى لم أكن أعرفه من قبل فقد هجر فرنسا قبل أن أولد وعاد اليها بعد خمسة وعشرين عامًا وهو انما عاد من ايطاليا دون شك

– كلا فانى رأيته فى باريس منذ عام

– ربما كان مختلفاً مع أبى فى بعض الشؤون أما الآن فانهما فى خير حال وأرجو أن تزيد هذه العلائق وثوقًا بفضل ما بنى و بينك من الوداد

و بعد أسبوع عقدت حفلة الزواج وفى تلك الليلة نفسها عقد المركيز خطبة ابنته على روبرت دى لنتراك

وكان روبرت يحبهـا أصدق حب فما تمنى الا أن تكون فقيرة كى لا يتهم أنه أحبها لثروتها العظيمة

* * *

وقد استأجر الكونت منزلاً جميلاً بجوار منزل أخيه المركيز فأقام فيه مع امرأته واستحكمت علائق الوداد بين لويزا ولوسيانا فكانتا تجتمعان فى كل يوم

وقد اتفق يوماً أن لوسيانا زارتها بعد الزواج بشهرين فرأت عينيها محمرتين وكانت قد رأتها مراراً على هذه الحالة فلم تجسر على سؤالها . ولكن أثر البكاء كان ظاهراً فى هـذه المرة بحيث خشيت أن تتهمها بعدم الاكتراث أو اتغاضت عن سؤالها فأخذت يدها وقالت لها بلهجة ملؤها الحنو :

انك بكيت يا لويزا

قالت . كلاَّ ولماذا أبكى ؟

قالت : بل انك بكيت وأثر الدمع لا يزال فى عينيك. أتكتمين عنى شقاءك وأنا خير صديقة لك كما تقولين؟

فأنكرت أيضاً ولكن لوسيانا ألحت عليهـا بالسؤال فتنهدت تنهداً طويلاً وقالت :

نعم أيتها الحبيبة انى أشقى امرأة فى الوجود أيمكن أن يكون عمك الذى تزوجته لشقائى من أهلك . . كلا فانكم من أكارم الناس وهو من أشدهم لؤماً وانكم شرفاء طيبون وهو مفطور على الخبث والمكر والذنوب لأنه يسئ أقبح اساءة الى امرأة كان كل ذنبها انها وثقت بحبه وتزوجته

فدهشت لوسيانا وقالت : رباه ماذا جرى وما هذه الهوة التى حفرت بينكما ولما يمض على زواجكما شهران بعد . ألا تحبينه؟

قالت وآ اسفاه انى لا أحبه وما أحببته أبداً ولكنى جوزيت عن اطماعى إذ أردت أن أكون امرأة كونت ولو علم أبي ما ينطوى عليه

هذا المتلبس بلباس الأشراف لا كتفى بما له من شرف التجارة ولما دفعنى الى هذه الهوة

– لا تبالغى يا لويزا

– أية مبالغة هذه فانك لو عرفت منه ما عرفته لانكرته وأنفت أن يكون عمك فانه من أولئك الناس الذين لا يعشقون غير الدينار و يرتكبون فى سبيل نيله المحرمات حتى جرائم القتل

– ان الغضب دخل صوابك أيتها الحبيبة أتحسبين أن عمى من أولئك الناس

– نعم يا لوسيانا انه كان يتودد الىّ فى بدء زواجنا و يرضينى بالعطف الكاذب والكلام المزخرف لطمعه بمهرى فلما قبض ذلك المهر برح الخفاء و بات يعاملنى معاملة الضوارى فهو قد تمر أيام دون أن يأتى الى المنزل وقد رأوه مراراً يتنزه مع بنات الهوى فى مركبته ثم رأوه مراراً يقامر غير مشفق على المال الذى لم يتعب فى تحصيله والويل لى اذا عاتبته فانه ينتهرنى كما ينتهرون الخدم فادخل الى مخدعى وأقضى ليلتى بالبكاء دون أن أشكو بليتى لأحد فانى أخاف الشماتة فتمنعنى الكبرياء عن الشكوى

– لا أدرى كيف أعزيك أيتها الحبيبة أتريدين أن أخبر أبى بأمره عساه يتمكن من ردعه

– احذرى أن تقولى شيئًا لأبيك فانى أعرف به منك وهو مريض

– اذن ماذا تصنعين

– أصبر على بليتى ولا أشكو أمرى الاَّ الى الله ثم انى اذا فقدت زوجى ألا يبقى لى أهلى

– بل تبقى لك صديقتك التى ستفرغ مجهودها فى سبيل انقاذك فاطمئنى أيتها الحبيبة فلا بد للسماء أن تنجلى بعد الغيوم

* * *

كان للكونت صديق يدعى ريدال وهو ايطالى متله فكان يزوره فى كل يوم وقد اشتهر بصداقته فانهما لم يكونا يفترقان

وقد زاره يومًا ولم يكن فى المنزل غير زوجته لويرا فجلس معها وأخذ يحادثها فى أمور مختلفة الى أن قال لها

كيف تقضين أوقاتك يا سيدتى حين يهجر الكونت المنزل

فأجابته بلهجة الحانق قائلة

انك حين تذهب بزوجى وتبعده عنى اذهب الى منزل المركيز اذ لا سبيل الى الضجر هناك

فتكلف ريدال عدم الانتباه الى جملتها وقال لها

لقد نسيت أن الآنسة لوسيانا خير صديقاتك فانى رأيت هذه الحسناء مراراً لكنى لم أحدثها غير ثلاث مرات عرفت فى خلالها انها من فضليات الأوانس وأن من يتزوجها . . . .

فقاطعته قائلة أن من يتزوجها لا يكون كفوءا لها .

– العلها تحب أحداً تعرفينه

– لا أعرف أحداً الى الآن يحق له أن يفتخر بأنها تحبه وفوق ذلك فلو كان لها مثل هذا السر وائتمنتنى عليه لما بحت لك به على انى لا أظن أنها تجد كفوءا لها بين الرجال

– أرى أنك ضعيفة الثقة بنا يا سيدتى

– ان الذنب فى ذلك عليكم

ربما ولكن المرأة متى عرفت أن توحى بالحب الى قلب رحل أحبها حبًا أبديًا

– هل لك أن تذكر لى اسم امرأة لها هذا الامتياز

– المدموازيل لوسيانا دى روكيون

فأجفلت لويزا لهذا الاقرار الفجائى وقالت له بلهجة تشف عن الرغبة العلك تحبها

فأجابها قائلاً

كلا يا سيدتى فانى من الذين يرون أن الحب لا يطيب الا اذا كان متبادلاً بين القلبين وانى أخشى اذا اندفعت فى حبها أن اعيش من غير رجاء . وانما كانت مباحثتنا بشكل عام فأبديت رأيى وجعلت لك الآنسة مثلاً وكيف أتجاسر على حبهـا وأنا أعلم أن روبرت دى لنتراك يكاد يكون خطيبها

قالت نعم أن روبرت يزور المركيز كثيراً لأن المركيز يحبه أصدق حب

وهنا انقطع الحديث بينهما فان زوجها الكونت خرج من غرفته ودنا منها فقبل جبينها فقالت له :

العلك ذاهب ؟

قال نعم

- متى تعود ؟

- لا تنتظرينى للعشاء فسأتعشى مع ريدال

- اذن الى اللقاء فى الغد

- الى الغد

وكان هذا دأبه فى كل يوم فانه كان يعود الى المنزل وقد تعالت الشمس فينام ثم يخرج من فوره عند ما يصحو و يدع زوجته وحدها تتعزى عن مصيبتها بالدموع

وهذا الذى حدث لها فى ذلك اليوم فانها بعد انصرافه بكت حتى نضبت دموعها ثم ذهبت الى صديقتها لويزا

* * *

وقد وجدت صديقتها وحدها فعانقتها وقالت لها وهى تبكى:

لقد حدث ما كنت أتوقعه يا لوسيانا

- ماذا حدث

– لقد تم خرابنا فقد خسر كل ثروتى فى القمار وتجاوزها الى أن استدان فأصبح الدائنون يتقاطرون أفواجًا الى المنزل وقد باع الخيل والمركبات وأراد الدائنون حجز أثاث المنزل ولكنى تلافيت هذه الفضيحة ببيع مجوهراتى

– وزوجك ؟

– لم يتنازل الى إخبارى بما صار اليه وقد جاءنى اليوم صاحب المنزل يطالب بأجرة البيت وأنذرنى بالشكوى بحيث لم أجد بداً من الالتجاء الى أبى فذهبت اليه وأخذت منـه خمسة آلاف فرنك قيمة القسطين المستحقين من أجرة المنزل وسأدفع عنه كل دينه وبعد ذلك سوف نرى فانه اذا عاد الىَّ طردته واذا أبى مفارقتى قتلته لا محالة فانى لم أعد أطيق الصبر

وبينما كانت الكونتس تحادث صديقتها بهذه الشؤون كان ريدال جالساً فى قاعة القراءة فى النادى يشغل نفسه بالقراءة فانه خسر فى تلك الليلة كل ما كان باقيًا له ورأى أن الكونت صديقه وشريكه قد نفد كل ما عنده فترك المائدة ودخل الى قاعة القراءة

وكان يقرأ فى جريدة مصورة وهو ينظر الى صورة رحل ينتحر

أما الكونت فانه بعـد أن خسر كل ما لديه نهض عن المائدة وأخذ يبحث عن صديقه ريدال حتى وجده فى قاعة القراءة فوقف وراءه وسأله قائلاً:

من هو هذا الرجل الذى انتحر

– انه رجل لا عقل له فلا ينتحر الا البلهاء

– انك ما زلت تحتقر المنتحرين فاحتفظ بحياتى كى احتفظ باحترامك

– أخسرت كل ما لديك

– هو ذاك

– والآن ماذا تصنع

– العلك يأست يا ريدال

– وأنت أبقى لك رجاء

– ألا تذكر يا ريدال شقاءنا فى ايطاليا

– ليس ذلك مما يمكن نسيانه

– وقسمنا

– انى أسير له ما حييت

– اذن لقد جاء دورك بعدى فانك جميل ولا تزال فى عهد الشباب فلا تعدم غنية تتزوجها فى فرنسا كما فعلت أنا فانك ساعدتنى على التهام ثروة زوجتى فلا بد لى أن أفيك هذا الجميل وأساعدك على تبديد ثروة زوجتك المستقبلة

– ولكن أين أجد هذه المرأة

– انها موجودة

– من هى

- هى ابنة أخى المركيز
- اتحسب أن رواجى بها من الأمور الهينة
- لا أنكر صعوبته ولكن ألا تعلم أن مهرها يبلغ سبعة ملايين فرنك
- بل أعلم أيضاً انها سترث ثلاثة ملايين فرنك من أبيها
- أى أنه سيكون لكل منا خمسة ملايين يا ريدال . مثل هذه الثروة تستحق العناء والاهتمام ولا سيما اننا أصبحنا لا نملك شروى نقير

وانى اذا كنت أساعدك فى هذا الشان أكون أسأت الى نفسى فان المركيز مريض وان ابنته قد لا تميل الى الزواج ثم انها قد تصاب بنكبة تودى بحياتها فأصبح أنا وريت أخى الوحيد

ومع ذلك فانى أرضى بمساعدتك ومشاركتك لأن هذه الطريقة أسرع فى قضاء الحاجات فلم يبق عليك ألا أن تدع لوسيانا تحبك فتتزوجها ونقتسم مهرها

قال لقد رضيت فقد تعاهدنا على الاشتراك ولكن ماذا يكون اذا لم أتمكن من حملها على حبى

- تكون من البلهاء فان لوسيانا لم تحب أحداً بعد
- بل انك واهم أيها الصديق
- كيف ذلك
- ذلك ان أباها المركيز يحب روبرت دى لنتراك وهو يزورهم فى كل يوم وسيكون عثرة فى سبيل مشروعنا فانه جميل غنى وسيكون له

من أبيها خير معين فضم الكونت يده شان المتوعد وقال :
لم يبق بد من وضع خطتى فابدأ بالتودد الى لوسيانا وعلىَّ البقية
ثم نهض وقال له .
انك لا ترانى غداً
– الى أين تذهب ؟
– الى ضواحى باريس فلا أعود إلاَّ متأخراً فى الليل أما أنت فاذهب غداً الى المركيز فان غداً موعد استقباله

* * *

وقد افترق الشقيان فخرج الكونت من النـادى وهو يفكر فى أمره فجعل يسير فى شوارع باريس حتى وصل عند انتصاف الليل الى مكان قفر لم يكن يوجد فيه غير بعض بيوت متفرقه تشبه الأكواخ
وقد وقف عند أحد هذه البيوت وقرع بابه ثلاث مرات بشكل خاص فأجابه صوت من الداخل قائلاً :
من هذا ؟
فلم يجبه الكونت ولكنه عاد الى قرع الباب بالشكل الذى تقدم ذكره وبعد هنيهة فتح البـاب وظهر منه رجل فلم يكد يرى الكونت حتى انحنى أمامه بملء الاحترام وقال له :
أهذا لمنت يا سيدى . أأستطيع خدمتك فى شىء ؟

قال . كلاَّ فلا احتاج اليك الآن

ثم ذهب الى كرسى وجلس عليه فقال له الرجل :

إذن لماذا أتيت الى هنا فى مثل هذه الساعة ؟

قال : انك كنير الأسئلة فى هذه الليلة يا كاباريت

قال : انى لا أريد بذلك غير اغتنام الفرصة لإظهار اخلاصى

– أفعلك تريد أن تظهر لى أنه يوجد بين الناس من يعرفون الجميل ؟

– انى يا سيدى من أخص هؤلاء الناس

– إذن أجلس لتتحدث

فجلس كاباريت و بدأ الكونت حديثه فقال

انى أصبت بالخراب التام

– وأنا خادمك يا سيدى فمرنى

– ألك ثقة بى ؟

– دون شك فمن كان مثلك لا تفرع حجبته

– ربما ولكنى لا أستطيع رد ثروتى المفقودة إلا اذا كان لى أصدقاء مخلصون وأنت تعلم يا كاباريت انى بالمكافأة غير بخيل

– انى سأكون آلة فى يدك يا سيدى وأنت تعلم انى خير من يكتم الأسرار فماذا تريد أن أصنع

– لا أريد أن تصنع شيئًا الآن وانما أتيت اليك كى استوثق من مساعدتك فانى لم أرك منذ عام وكنت أخاف أن تكون قد تغيرت

- انى لك يا سيدى مدى الحياة

- حسنًا فلم يبق عليك إلاّ أن تجعلنى ضيفك بقية هذه الليلة

- أنت تنام هنا يا سيدى الكونت

- نعم فأن كوخك يعجبنى وقد عودت نفسى تشظف الحياة فلا أفرق بين الأكواخ والقصور عند الاقتضاء

و بعد فانى محتاج الى الاختباء ثمانية أيام ولا يخطر لأحد أن يبحث عنى هنا فخذ هذه الدنانير للنفقات وعند الصباح أيقظنى باكراً فانى أريد أن أرى رجلاً أعتمد عليه كما أعتمد عليك

ثم وضع يديه على المائدة ووضع رأسه عليهما ونام فأطفأ كاباريت نور الشمعة وهو يقول :

ما هذا الرجل العجيب وما عساه يريد منى

وقد أقام يفكر فى أمره لعله يهتدى الى مراده حتى اذا أعياه الأمر اقتدى به وأطبق عينيه

القسم الثانى

الجنـــاية

نهض الكونت من رقاده عند الفجر فأيقظ كاباريت وقال له انى ذاهب يا كاباريت

قال متى أراك يا سيدى

قال لا تنتظرنى فقد غيرت فكرى وعزمت على الرجوع الى باريس ولكن تأهب لانتظارى فسأحتاج اليك فى وقت قريب

ثم تركه وذهب وهو يقول فى نفسه بشرط أن أجده

وكان يعنى بذلك رجلا يقال له ريمو وهو ايطالى عرفه منذ عشرين عاماً فى ايطاليا واستخدمه فى كثير من الأمور الشائنة وهو زوج تلك المرأة التى لقيها مرة فى احدى حدائق باريس والتمست مساعدته فوعدها خيراً وعرف منها المكان الذى تقيم فيه .

وحلاصة حياة هذا الرجل انه كان من كبار الأشقياء وكانت له وقائع هائلة فى ايطاليا بحيث اضطر الى الفرار منها وجاء الى باريس على رجاء ان يجد الكونت و يستعين به كما كان يفعل فى ايطاليا

وكان هذا الرجل على عيوبه يحب امرأته و بنته أعظم حب وكذلك امرأته فقد كانت على فضيلتها وطهر قلبها تتغاضى عن سيئاته لأنها كانت تحبه منذ الحداثة ولها عليه سلطان عظيم

وكان مراد الكونت من الذهاب اليه أن يدخله فى خدمة أخيه المركيز كى يعينه فى غرض له سوف يظهر

وقد ذهب اليه عنـد الفجر فوجده جالساً بين امرأته و بنته فوقف الزوجان حين دخوله وقد اتقدت عيونهما ببوارق الرجاء فقال لهما الكونت:

أخاف أن أكون قد أزعجتكم بهذه الزيارة المبكرة ولكنى أتيت بعمل لريبو اذا كان محتاجاً الى العمل

فتنهدت زوجته وقالت :

أتسألنا يا سيدى الكونت اذا كان محتاجاً الى العمل وهو مسافر مع ابنتنا الى بلوا مشياً على الأقدام ؟

– لماذا تسافر ابنتك ؟

– لتشتغل عند خياطة تعرفها هناك

– كلا لا يجب أن يسافر ريبو وهذه أجرة السفر فلتسافر فرنسيسكا فى القطار واما أنت ياريبو فستذهب الى المكان الذى أرشدك اليه ولا تضع الوقت عبثاً فقد ضمنت لك العمل فيه

قال : الى أين تريد أن أذهب يا سيدى ؟

– الى المركيز دى روكربين

– أخوك يا سيدى الكونت ؟

– نعم كيف عرفت أنه أخى

– لقـد بحثت عنك فى باريس فعلمت أنك أخوه وسررت لهذه القرابة

– لماذا

فنظر إليه ريمو محدقا وقال

لأنه كثير الغنى

– ولكنه أصغر منى سنًا وفوق ذلك فان له بنتا ترثه

– لقد عرفت كل ذلك يا سيدى ولكن الحياة كثيرة الحوادث

أقول هذا وأنا أعلم يقينًا ان سيدى الكونت يحب أهله ولا يريد لهم إلاَّ الخير

– هو ذاك فاعلم ان أخى المركيز سيحتاج الى خادم خاص مشهود له بالذكاء والاخلاص وقد افتكرت بك

– أشكرك يا سيدى الكونت

– أتعرف منزله

– نعم فهو يقيم فى شارع شانوديم

– اذن فاذهب اليه من قبلى فهو يستخدمك من فوره

– سأذهب يا سيدى بعد أن أوصل ابنتى الى المحطة

وعند ذلك ودعهم وانصرف وهو يقول فى نفسه

ان هذا اللص شديد الذكاء فقد أدرك قصدى قبل أن أشير إليه

وأما ريبو فانه عاد بعد تشييعه وهو يقول فى نفسه

اذا صدق ظنى فان الكونت محتاج الىّ هذه المرة أشد الحاجة

وسأعرف كيف أستفيد

وأما زوجته عيانيتا فودعت بنتها وهى تذرف الدموع السخينة وقد أعطتها حليا كانت تلبسه وقالت لها

إلبسيه يا ابنتى فسيكون لك تعويذة تقيك الخطر

وبعد ساعة كانت فرنسيسكا مسافرة فى طريق بالوا وعاد ريبو فقالت له امرأته

ألعلك عزمت على الدخول فى خدمة المركيز

قال نعم ولكنك ستقيمين وحدك

- ألا تزال تغار علىّ ياريبو

- كلاَّ كلاَّ ولكنى أخاف أن يعود

- من هو . . الكونت

- نعم

- كفى ياريبو فانه لا يعود الى جرأته

- أتعلمين أنى أقتله كما أقتل الكلب الكَلِب

فضحكت وقالت

اطمئن فقد ذهب عهد الصبي وأنا لم أخنك فيه أأخونك الآن

***

كان الكونت قد عوَّل حين زار كارابيت أن يحتجب ثمانية أيام إذ لم يكن يجسر على العودة الى زوجته بعد ما كان من خرابه فى القمار

ولكنه تمعن فى أمره وعلم أن هذا الهجر لا يكون بعده غير الطلاق فيفتضح أمره و يحبط مشروعه مع أخيه ثم انه يخسر ارث امرأته من أبيها بعد موته وهو من كبار الأغنياء فوجد أن خير المناهج أن يعود الى امرأته فيتملقها و يتزلف اليها و يحملها على الرضى عنه وهذا أفضل سبيل ينهجه لبلوغ قصده

ولذلك عاد من فوره الى امرأته فدهشت لما رأته من تغيير أخلاقه ولما سمعت من لطف حديثه وحسن اعتداره حتى حسبت نفسها حالمة

ولم يكن غير بضعة أيام حتى رضيت عنه ولبثت مشككه به غير انها كانت تجد نفسها سعيدة بالقياس الى عيشتها السابق وجعلت تقول فى نفسها

ترى أيصدق بعواطفه وأعرف به طيب الحياة

ثم زال هذا الشك تباعًا بما كانت تلقاه من حسن معاملته فعادت الى ما كانت عليه من الرضى والارتياح فى بدء عهد الزواج

وكان يصحبها أكثر الأحيان الى منزل أخيه المركيز و يشتركون بالنزهات ومعهم روبرت حطيب لوسيانا

وكان للمركيز قصر فى الضواحى كان يكثر التردد اليه لشدة ميله الى العزلة فيصحب معه ريبو ذلك الايطالى الذى عينه الكونت لخدمة أخيه واذا صحبته ابنته تقيم فى القصر يومين أو ثلاثة فيزورها خطيبها فيه و يعود الى باريس عند الغروب

وكانت لوسيانا مولعة بركوب الخيل فاقترحت يوماً على عمها وامرأته ان يذهبوا الى قصر أبيها فى الريف وان يتنزهوا على الجياد فى تلك الضواحى الجميلة

فوافقاها على اقتراحها واقامت تنتظر قدوم روبرت كى تدعوه الى هذه النزهة ولكنه لم يحضر

وكان المركيز قد أخبر روبرت أنه اشترى حواداً محرناً حسن الطباع لتركبه لوسيانا

ففى ذلك اليوم المعين للنزهة جاء روبرت فقيل له انهم ذهبوا الى الريف منذ هنيهة فأسرع الى المحطة على رجاء أن يدركهم قبل السفر فوجد أن القطار قد سافر بهم

وفيما هو عائد لقيه أحد باعة الخيل فاستوقفه وقال له ان المركيز دى روكيرين قد اشترى حواداً ولكنهم خدعوه به شر خداع

قال لماذا

قال لأن الجواد سيىء الطباع كثير العيوب

فاضطرب روبرت وقال

ألعل فى ركبه خطراً

– دون شك فانه كثير الجموح ومتى جمح صعب كبحه

– من الذى باعه هذا الجواد

– لا أعلم فقد اشتهر هذا الجواد بيننا بعيوبه فلم يكن يقيم عند صاحبه إلاَّ ريثما تظهر له عيوبه فيبيعه تخلصاً منه

ففارقه روبرت وهو شديد الخوف على لوسيانا من ركب هذا الجواد فركب حواده وانطلق ينهب الأرض على رجاء أن يدركهم فى القصر الريفى قبل خروجهم للنزهة

ووصل فوجد أنهم سبقوه وعلم من السائق أن لوسيانا ركبت ذلك الجواد الذى اشتروه حديثًا فاشتد اضطرابه وسأله عن المكان الذى ذهبوا اليه فلم يعرفه

ثم سأله أسئلة مختلفة عن هذا الجواد ولم يكن السائس قد خبر الجواد فقال له :

لا سبيل الى الخوف يا سيدى فان الكونت كان راضيًا عنه وهو خبير بالجياد كما يظهر

فقطب روبرت حاجبيه وعول على أن ينتظرهم حتى يعودوا فذهب إلى أحد المطاعم فتغدى ثم جعل يتنزه فى الطرقات المشرفة على داخل القرية

وبينما هو على ذلك كان المركيز وأخوه الكونت ولوسيانا ولويزا يسيرون على حيادهم متنزهين فى الغابات وكان الكونت يسير بجانب ابنة أخيه ووراءهما امرأته وأخوه وقد وصلوا إلى طريق رملية فى الغابة فاقترح الكونت على لوسيانا أن يركضا جواديهما فوافقته وانطلق الجوادان بهما فلم تكن غير هنيهة حتى توارتا عن أنظار المركيز ولويزا

وكان جواد لوسيانا يندفع بها بسرعة عظيمة حتى أنهكها التعب فصاحت بعمها قائلة

كفى كفى

وقد أرادت أن توقف الجواد فلم تستطع فقالت أنه جامح ورأت أمامها فى ذلك الطريق غابة من الأشجار القصيرة فأيقنت أنها فى خطر عظيم وان رأسها سيصطدم بإحدى هذه الأشجار فاشتد بها الخوف لا سيما حين شعرت أن حواد عمها قد تأخر عنها ولم يستطع إدراكه

ثم دنت من تلك الأشجار فصاحت صيحة رعب هائلة وأطبقت عينيها وهى تتوقع ذلك الموت الرهيب الذى تمثل لها فلم تجسر أن تراه

وعند ذلك وثب الجواد وثبة فجائية إلى اليسار واهتز اهتزازاً عنيفاً فلم تسقط الفتاة عنه ولكنه توقف كأن يداً حديدية قد أوقفته

وكأنما هذا الخطر قد أنهك قواها فإنها حين وقف الجواد سقطت عنه إلى الرمل وهى شبه مغمى عليها

وقد شعرت أنها بين ذراعى رجل يريد أن ينهضها وأيقنت أنه هو الذى أنقذها فلما فتحت عينيها لتراه وتشكره شعرت أن غمامة كثيفة حالت بين نظرها وبين ذلك الرجل ثم شعرت أن حواسها قد اضطربت اضطراباً عنيفاً وأغمى عليها

وفى خلال ذلك كان الكونت قد انقطع عن لحاق ابنة أخيه وعاد إلى امرأته وأخيه مسرعاً فصاح بهما حين رآهما قائلاً

اسرعا اسرعا

فاصفر وجه المركيز وقال

أين لوسيانا أين إبنتى

قال أن الجواد قد جمح بها ولم أستطع إدراكها فرأيت أن أعود إليك لاخبرك إذ لم تكن بعيداً عنا والآن لنسرع فاتبعانى

وقد دفع حواده فى الطريق التى سار فيها من قبل فتبعاه حتى وصلوا إلى المكان الذى سقطت فيه فسمعوا صوتًا يناديهم قائلاً

هنا . . . هنا . . . لا تخشوا

فالتفتوا فرأوا رجلاً راكبًا بجانب لوسيانا وهى ملقاة على الأرض بين الأشجار

ووثب المركيز عن حواده واقتدى به الكونت حتى وصلا الى الرجل فصاح الكونت بلهجة ملؤها الاندهال قائلاً

أهذا أنت يا ريدال

وقالت الكونتيس

ما هذا الاتفاق الغريب وكيف اتفق وجود ريدال هنا فأنقذ لوسيانا

وقد نظرت إلى زوجها وريدال فخيل لها أنهما مضطربان اضطراب ممتل يمتل دوره دون أن يكون أتم مراجعته وحفظه

* * *

وقد استفاقت لوسيانا حين سمعت صوت أبيها وفتحت عينيها وهى منذهلة كمن يستفيق من حلم فقال لها المركيز

لا تخشى يا إبنتى فقد قدرت لك السلامة وأنك مدينة المسيو ريدال بالحياة فهو الذى أنقذك

فبسطت له يدها شاكرة فقال لها

ليس لك أن تشكريني يا سيدتي بل أشكرى الصدفة التى قدرت مرورى فى طريقك أما أنا فقد فعلت ما يفعله كل انسان سواى

فقال له المركيز ولكنك عرضت نفسك للمخاطر يا سيدى ولا يفعل فعلك غير أهل الاخلاص

وقالت له لويزا وقد نظرت إليه نظرة حقد

وأنها تشكرك أيضًا يا موسيو ريدال مما أظهرت من السكينة والذكاء فارتعش الكونت لقولها وتظاهر ريدال أنه لم يسمع قولها فقال للوسيانا

أرى يا سيدتي أن لا تركبي هذا الجواد بعد الآن وسأتيك بمركبة تعودين فيها

فقال الكونت أنه رأى موافق

وقال المركيز إذن ستصحبنا إلى القصر فنعود كلنا إلى باريس حيث نتعشى معًا

فقبل ريدال الدعوة شاكرًا وذهب لإحضار مركبة

وتأبطت لوسيانا ذراع الكونتيس فسارت واياها تتنزهان بين الأشجار فقالت لها لويزا

إنى لا أزال معجبة بهذه الصدفة العربية

فأجابتها قائلة وأنا أشعر بانقباض لا أعلم سببه لكوني أصبحت مدينة لهذا الرجل بانقاذي

- ربما كان ذلك لأنك تعلمين إنى أكرهه
- كلا بل لأنى أشعر أنه يريد أن أحبه
- وماذا عليك يا لوسيانا من هذا ومما تخافين

فاحمر وجهها وقالت

أن قلبى يحدثنى بوجود خطر على روبرت

فضغطت على يدها وقالت

أرى أيتها الحبيبة أن هواجسنا واحدة

وهنا انقطعتا عن الحديث لاقتراب المركيز والكونت منهما ثم اشتركوا جميعهم بالحديث فجعل الكونت يطنب بمديح صديقه ريدال وكان المركيز لا يزال متأثراً بعوامل الامتنان فوافق على أقوال أخيه وقال

إنى لا أعرفه إلاَّ من عهد قريب ولكنى أرجو أن تعيننى الأيام فأفيه حقه من الجميل

ثم جاءت المركبة فركب فيها المركيز وابنته وركب الكونت وامرأته وريدال حيادهم وساروا فى أثر المركبة

وقد ضم المركيز ابنته إلى صدره وقال لها

رباه ماذا كان مصيرى لو فجعت بك

فقبلته بملء الحنان وقالت له

أحبك يا أبى وانى سأحب روبى كثيراً ولكن حبك لا يعادله حب

قال نعم انى أريد أن تحبيه كثيراً فانه سيحميك اكثر منى

– لقد فهمت قصدك يا أبى ولكنك لست كما تتوهم فستعيش بقربى عمراً طويلاً

– من يعلم

– إذن أنت تخاف على مستقبلى وتريد أن تسرع بعقد زواجى

– هو ذاك يا إبنتى

– ليكن ما تريد يا أبى فانى ممتثلة لك

فابتسم وقال لها

لا تبالغى يا إبنتى باظهار الطاعة فانك أسرعت إلى طاعتى لاتفاق رغبتى مع رغبتك فانى أقرأ فى قلبك كما أقرأ فى كتاب مفتوح وانى راضٍ عن الذى تحينه كل الرضى فلم يبق إلاَّ الاتفاق مع رو برت على تعيين يوم الزواج

فسالت دموع الفرح من عينيها وقالت

ابى من أسعد الفتيات يا أبى فقد كنت أخاف أن تعير رأيك

– لماذا يا إبنتى

– أن المسيو ريدال كان قد قال للويزا أقوالاً أشار بها إلى أنه يحبنى ثم أرادت الصدفة أن ينقذنى اليوم من خطر شديد

أما أنا فلا أحبه و إنما خشيت بعد حادثة اليوم أن يغتنم هذه الفرصة فيكثر من زيارتنا و يفضى به الأمر إلى مكاشفتى بهذا الحب

قال لا بد لك يا إبنتى من أن تظهرى التودد لهـذا الرجل كي

لا تتهمى بنكران الجميل وهو سيعلم أن روبرت دى لتراك خطيبك وانك تحبينه فلا يبقى له سبيل

قالت صدقت يا أبى وسأعمل بما أوصيتنى

فسكت الاثنان وواصلت المركبة سيرها

وكانوا قد وصلوا عند ذلك الى منعطف وقد خرجوا من الغابة ورأوا فارسًا ينهب الأرض بجواده فعرفته الكونتس وصاحت قائلة روبرت وسمعت لوسيانا هذا الصوت فاطلت من المركبة وقالت ان روبرت راكب على جوادى

فأمر المركيز السائق أن يوقف المركبة مدهل الكونت وريدال من قدومه ودنا روبرت منهم فسألهم بلهجة المضطرب عن لوسيانا فدلته الكونتيس على المركبه وقالت له انها مع أبيها فيها

أما لوسيانا فانها خرجت من المركبة وأسرعت اليه فقالت له وهى تبتسم انظر الىّ فانى لم أمت

فعض ريدال شفته من القهر وحياه المركيز من المركبة ووقف الجميع فحكت لوسيانا لروبرت كل ما اتفق لها فحكى لها عما كان من حوفه حين رأى الجواد الذى كانت تركبه عاد الى القرية وحده وذكر لها ما سمعه من بائع الجواد عن سوء طباع هذا الجواد فركبه وأسرع به الى لقائها لخوفه من مصاب

وبعد ذلك عادت لوسيانا الى المركبة واستأنفوا السير

وكان الكونت وريدال يسيران أمام المركبة وروبرت والكونتيس يسيران وراءها فقالت له الكونتيس انك لا تزال مضطربا كما أراك

قال بل أن اضطرابي قد سكن كثيراً بعد ما تيقنت من سلامتها ولكني لا أزال خائفاً

- مما تخاف

- انك تحميين لوسيادا وتكتمين ما سأقوله لك فتأخرى قليلاً عني وانظرى الى الجواد الذى أركبه

فتأخرت ونظرت فقالت انى أرى دماً

- هو ذاك ألا يذهلك وجود هذا الدم

- كلا فان الجواد قد وتب وتبات كثيرة بين الأدغال فجرح

- بل أنهم أرادوا قتل لوسيا

- ماذا تقول

- أو أن جاك ريدال قد مهد ما حدث كي يجد سبيلاً لانقاذها وقد وجد وفاز بما أراد

- ولكن أية غاية له من ذلك

- لا أعلم حقيقة مقصده الآن ولكني ظفرت ببرهان الجناية وهذا هو

- ثم أخرج من جيبه ابرة قوية مكسورة وقال لها

- أنظرى الى هذه الابرة فقد وجدتها فى جسم الجواد ولم يكن جموحه الا حين وخز بها فمن الذى وخزه

– فاصفر وجه الكونتيس ولم تعد تجسر على سماع أكثر مما سمعته اذ أيقنت أن زوجها هو الذى وخز الجواد فانه هو الذى اقترح على لوسيانا الامعان فى الركض وهو الذى كان يصحبها

فقال لها روبرت

أن كل ما أسألك إياه يا سيدتى هو أن تكتمى ما أخبرتك به اذا أردنا أن ننقذ لوسيانا من الخطر المحدق بها

قالت انى أعدك بالكتمان

فلما وصلوا إلى القصر جاء السائس فأخذ الجياد وقال للكونت ألم يكن سيدى يحمل قضيباً قبضته من الذهب

قال نعم وقد سقط منى فى الغابة والجواد فى أشد ركضه فلم أجده

فقال روبرت فى نفسه ولكنى سأجده وأحد فيه بقية الابرة المكسورة أيها الأتيم

وقد تعشوا جميعهم فى منزل المركيز فكان حب لوسيانا لروبرت ظاهراً للعيان وكانت الكونتيس مفكرة وعلائم الحزن بادية فى عينيها وكذلك ريدال فقد أيقن من تعلق لوسيانا بروبرت وعلم أن أمانيه ذهبت أدراج الرياح

و بعد الفراغ من الطعام خلا بالكونت فى إحدى القاعات وقال له لقد حبط مسعانا ولم يبق سبيل للنجاح فانها تحبه ولا بد لنا أن نبحث عن الثروة من غير هذا الباب

قال بل أنك قليل الصبر كثير الجذع فانك اذا لم تفز بميلها إليك بعد انقاذها فان ذلك لا يمنع الناس عن أن يتحدثوا بهذا الانقاذ و يعدوك كخطيبها وهذا يكفيني

– كيف ذلك

– سأوضحه لك فى غير هذا المقام

– ولكن زواجهما قريب وقد يكون بعد شهر

– هذه المهلة كافية

– أواه أنه لولا روبرت لكان الفوز مضموناً

– وأنا أعلم أنك من البارعين فى قتال السيف

– ماذا تعنى

– أعنى أنه لا أسهل من إيجاد سبب للخصام بينك و بين روبرت وأنا لا أطمع بقتله بل أكتفى بأن يصاب بجرح يحول دون الاسراع فى عقد زواجه

– ولكنى اذا جرحته لا ألقى من لوسيانا غير الكره

– أنك ضعيف الاختبار يا ريدال فدعنى أتولى ادارة هذه المهمة واطمئن

وقد دخل الجميع عند ذلك الى القاعة فاختلط الحديث واغتنم الكونت فرصة فاجتمع بريبو خادم غرفة المركيز فتحدث معه ملياً فى أمور كان يظهر من ملامح ريبو أنها خطيرة

ثم تركه وعاد الى القاعة وفى الساعة العاشرة افترقوا فعاد الكونت مع امرأته الى المنزل فاشتدت هواجسه إذ رآها قد تغيرت عليه فجأة دون أن يعرف السبب ورأى أنه لم يبق بد من الاسراع

* * *

وفى اليوم التالى جاء روبرت فى الساعة الثامنة من المساء وعليه علائم الاهتمام فطلب مقابلة المركيز ودخل اليه

وقد أنكر ريبو هـذه الزيارة وهذا الاهتمام فاختبأ فى مكان كان يراقب فيه عادة كل حركات المركيز وسمع ما دار بينهما من الحديث فقد بدأ المركيز فقال

أهذا أنت يا روبرت اذهب الى القاعة فلا شك أن لوسيانا تنتظرك

قال بل انى أحب أن أحدثك

- بماذا

- بشأن خطير

- قل يا بنى فقد أشغلت بالى

- لا بد لى من اخبارك فى البدء أنك قد لا تثق بما سأقوله لك

- بل أن لى بك ملء الثقة

- إذن فأعلم أنهم يحاولون الظفر بثروتك وقد يبلغون فى سبيل هذا القصد حد الجريمة

- من هم هؤلاء الأشقياء وكيف يستطيعون إغتصاب أموالى

– بواسطة سهلة عليهم وهى قتل بنتك

فوقف المركيز من رعبه وقال

بنتى

– نعم بنتك فاذا ماتت لا يبقى لك وريث

– يبقى أخى الكونت أتخاف أن يقتل أخى بنتى

– كلا انى لا أخافه

– لنبحث بتمعن يا روبرت فانه اذا ماتت بنتى بقيت أنا وأنا أصغر من أخى

– أنك اذا فجعت بهـا لا سمح الله فانك لا تعيش اسبوعًا بعدها إذ يقتلك الحزن

– هذا لا ريب فيه ولكنى أستطيع أن أحرم أخى من أرثى

– أنك لا تحرمه إلاَّ حين يخامرك الشك به ولكنه قد يفوز بهمته دون أن يدع لك مجالاً

– ربما ولكنى لا أخالك تتهمه هذه التهمة الهائلة دون برهان يؤيدها

– انى لم يدفعنى الى مخاطبتك بهذا الشأن غير حبى لبنتك وعطفك لأبوى على ولا شك إنى مزود ببرهان

– ما هو

– حادثة الأمس

– ما الذى استنتجته من هذه الحادثة

– استنتج أنها لم تكن من بنات الصدفة والاتفاق بل أنهـا دبرت تدبيراً بعد الامعان الدقيق

– روبرت أنك تقول قولاً هائلاً

– ولكنه اكيد واأسفاه فقدخامرنى الشك فى صباح أمس ولو أدركتكم قبل ركوبكم الجياد لمنعت لوسيانا عن ركب ذلك الجواد الذى جمح بها فقد عرفت اتفاقا أنه كثير العيوب

وقد عرفت أن ريدال صديق أخيك الكونت كان يعرف عيوب هذا الجواد وهو الذى دفع البائع الذى باعك إياه الى شرائه لوثوقه أن ابنتك ستركبه وقد قلت لك انى واثق مما أقول

– ولكن كل ذلك لم يتبت لى الى الآن عزم أخي على ارتكاب الجريمة ولو كان ريدال شريك أخي فكيف عرض نفسه للأخطار وأنقذ إبنتى من الموت

– ذلك أنه خطر لهما فى البدء أن يظفرا بثروتك بطريق الحب فهى خير من طريق الجريمة وكل قصدهما أن يكون الامتنان شفيعاً لدى قلب لوسيانا فيتزوجها ريدال و يقتسمان المهر كما اقتسما مهر زوجة الكونت و بدداه على موائد القمار

– كل ذلك من الممكنات ولكنك لم تؤيده ببرهان

ألا تذكر أن الكونت هو الذى اقترح على لوسيانا أن يركضا جواديهما حين وصولكم الى الغابة

– نعم أذكر ذلك

– ألا تذكر أيضاً أن أخاك كان يحمل قضيباً قبضته من الذهب

– نعم وقد فقد منه فى الغابة

– إنى ذهبت الى الغابة فوجدته وهذا هو

وقد أعطاه ذلك القضيب وقال له

انظر إليه فما الذى بقى فى رأسه

فارتعش المركيز وقال أرى ابرة مكسورة

قال وهذه بقيتها

ثم أخرج من محفظته بقية تلك الابرة التى أراها للكونتيس من قبل وقال له

انى أمس انتزعت هذه الابرة المكسورة بيدى من لحم الجواد الذى كانت تركبه لوسيانا وهى التى كانت السبب فى جموحه وهـذا القضيب لأخيك أبقى لديك شك بجريمته

فرفع المركيز يديه على عينيه كأنه يريد أن يطرد خيالاً هائلاً مرَّ به ثم قال له

نعم نعم لم يبق مجال للشك ولكنى لا أستطيع أن أشكو هـذا الشقى وهو أخي فماذا أصنع

قال يجب أن نحذر ونراقب

قال نعم ويجب قبل كل شىء أن أقطع حبل رجائه وان أسرع بتزويج

لوسيانا منك . ويلاه انى لا أفتكر بهذا الخطر الذى يتهدد بنتى حتى أشعر بضياع صوابى ولكنك فتحت عينىّ لحسن الطالع فأبصرت النور

– غير انى أرجوك أن لا تدع لوسيانا تعلم شيئًا من هذا

– أن لوسيانا لا تعلم إلاَّ ما يريد زوجها أن تعلمه فاتفق معها الآن على تعيين موعد الزواج فقد أصبحت ولدى ومتى تزوجت يحق لى أن أموت

وكان ريبو يسمع الحديث كما تقدم فلم تفته كلمة منه

فلما انتهى الحديث بينهما ابتسم ريبو ابتسام الأبالسة وقال

لقد أحسن الكونت باعتماده على فانه لولاى لذهبت أمانيه أدراج الرياح

* * *

وفى اليوم التالى دعى المركيز خادمه ريبو وكان له به ثقة شديدة إذ كان يبالغ فى الاحتيال على ارضائه فقال له

إنى لا أستقبل اليوم أحـداً من الزائرين وأما ابنتى فلا تستقبل غير خطيبها

فقال له ريبو واذا جاء الكونت يا سيدى المركيز فماذا أقول له

قال كما تقول لجميع الناس

وفى ذلك اليوم جاء الكونت يصحبه ريدال يسأل ريبو قائلاً

فابتسم ريبو ابتسامة معنوية وقال له كلاَّ يا سيدى
قال وابنة أخى
قال وهى أيضًا ليست فى المنزل
فقال ريدال ولكنى الآن رأيتها فى المشرف
قال أنك واهم يا سيدى دون شك

ولم يستطع الكونت أن يقول شيئًا لريبو إذ كان يوحد خادمه بجانبه فخرج مع ريدال وقال له بصوت سمعه ريبو هلم بنا فقد آن الأوان

ولما صار فى الطريق قال ريدال للكونت ألا ترى كيف أن المركيز قطع اتصاله بنا فقد رأيت لوسيانا فى المشرف

قال لا بأس فسندخل الى منزله بالرغم عنه

أما ريبو فانه عاد إلى المركيز فأخبره بما كان وقد لقيه جالس وراء منضدة وأمامه ورقة كان يكتب عليها فقرأ ريبو جملة كانت مكتوبة فى رأس الورقة بحروف كبيرة وهى « هذه وصيتى »

وخرج وهو يقول فى نفسه لا شك أن المركيز حرم أخاه من ارثه فى هذه الوصية وربما يكون قد وهبنى فيها هبة تزيد على ما يتبرع به على الكونت اذا . . مات المركيز . . موتًا غير طبيعى

على أنى قد أكون مخطئًا يكون المركيز ذهل عن مكافأتى وعلى أى حال فلا بد لى من سرقة الوصية فانى قد أستفيد منها أجلّ فائدة

أما المركيز فانه أتم كتابة الوصية ثم نادى ريبو وأمره أن يدعو ابنته اليه فأسرعت الى موافاته فقال لها

أنى دعوتك يا ابنتى لشأن أرجو أن تمثلى لى فيه دون أن تسأليني الايضاح

قالت انى أفعل كل ما تريده يا أبى فانك لا تريد إلاّ خيرى

قال اذن احلسى واكتبى ما أمليه عليك فجلست وأملى عليها ما يأتى

« أنا لوسيانا دى روكيرين قد عينت خطيبى الموسيو روبرت دى لنتراك وصيتى الوحيد اذا قدر لى أن أموت قبل عقد زواجى به »

ثم سألها أن توقع باسمها على ما كتبته ففعلت فقال لها انى سأضع وصيتك فى هذا الدرج مع وصيتى فاذا قدر لى أن أموت قبل زواجك فاخبرى روبرت بشأنهما

قالت ولكن ما هذه اللهجة الحزينة التى تتكلم بها يا أبى

قال لا شىء فدعينى وحدى الآن

فخرجت ونادى ريبو أيضاً فقال له أعد لى معدات السفر فانى ذاهب إلى الريف أما أنت فابق فى المنزل فانك لا تصحبنى

وبعد ساعة سافر المركيز فصبر ريبو إلى أن وثق من سفره فدخل الى غرفته واحتال على الدرج ففتحه وأخذ منه الوصيتين ثم ذهب الى غرفته ففتح وصية المركيز وقرأ فيها ما يأتى

« اذا قدر لابنتى لوسيانا دى روكيرين أن تموت قبلى فانى أوصى بأن تكون ثروتى لصديق وخطيب بنتى الموسيو روبرت دى لنتواك

وكذلك اذا مت ميتة طبيعية قبلهـا فانى أجعل الموسيو روبرت دى لتراك وريثى الوحيد وأحرم بنتى من كل ما يجيز لى الشرع أن أحرمها منه ادمون مركيز دى روكيرين

وانما أراد المركيز بحرمان بنته أن لا يدع أقل مطمع لأخيه الكونت فلا يبقى فائدة له من موت لوسيانا

أما ريبو فانه غضب بعد تلاوة هذه الوصية فردها الى غلافها وهو يقول أنه لم يخصنى بشىء وسأخص لنفسى بما أريده

وعند المساء بقى فى المنزل مع الخدم الى أن انتهى العشاء فادعى أنه أصيب بصداع أليم وصعد الى غرفته فى الساعة الثامنة من المساء

وفى الساعة الثالثة بعد انتصاف الليل صحى جميع الخدم لصياح خادمة فأسرع الخدم الى نجدتهـا و بينهم ريبو وهو لا يزال بملابسه فجعلوا يضحكون لأن الخادمة كانت مصابة بكابوس فهل برح ريبو المنزل بين الساعة الثامنة والثالثة بعد انتصاف الليل

ذلك مالم يخطر لأحد ولكنهم فى صباح اليوم التالى وجدوا المركيز فى منزله الصيفى قتيلاً مضرجًا بدمه فى السرير

القسم الثالث

الاختطـــاف

كان الكونت أول القادمين الى منزل أخيه المركيز فى الريف بعد ابنته لوسيانا

وقد ركع أمام جثة المركيز ثم نهض وبسط يده للوسيانا فلبثت مسترسلة الى أحزانها دون أن تنظر اليـه فقال للطبيب الذى كان لا يزال بالمنزل

انها لم تعزينى وأنا عمها

ثم التفت اليها وناداها قائلاً

لوسيانا . . . ولدى

فلم تجبه فقال

رباه ألعلها مجنونة

فأجابته عند ذلك بصوت خافت قائلة

كلا يا عماه فانى لم أفقد صوابى

قال ولكن يجب أن تبرحى هذه الغرفة

قالت كلا لا أبرحها ما زال أبى فيها

وقد حاول كثيراً أن يقنعها على الخروج من الغرفة ولكنه كان كالنافخ فى رماد فانها لم تجبه بحرف

وعند ذلك دخل روبرت فلما رأته داخلاً أسرعت اليه والقت رأسها على صدره فجعلت تشهق بالبكاء وتقول

أواه يا روبرت لقد قتلوه . . . انه كان يحبك . . . روبرت روبرت لم يبق لى سواك فى الوجود

فأيقن الكونت مما رآه وسمعه أنها تحبه حبًا صادقًا مع أنه أخطأ فى ما توهمه من أن ريدال يستطيع استمالتها

أما روبرت فانه قال لهـا بصوت مرتفع ليسمعه الكونت انى أعلم يا لوسيانا أنك واثقة بى وانى أنا وحدى الذى يحميك

– نعم نعم

– عديني يا لوسيانا انك تطيعيني

– أعدك بالامتثال لك فى كل ما تريد

– اذن اصعدى أيتها الحبيبة مع مربيتك الى الدور الأعلى ولا تدعى أحداً يدخل اليك أما أنا فأبقى هنا الى أن نعود الى باريس أتأذنين لى

– بل أرجوك أما أنت السيد المطلق هنا

ثم حاولت الانصراف وعند ذلك دخلت الكونتيس صديقتها

فقال الكونت لروبرت بلهجة المتهكم

أتأذن لامرأة عمها أن تكون واياها

قال لا سبيل الى المزاح أيها الكونت فى الموقف الذى نحن فيه وانى أذن لخطيبتي أن تكون مع السيدة لويزا ديباستان التى كانت صديقتها

قبل أن تصير زوجة عمها فان الصداقة تكون بعض الأحيان خيراً من القرابة

قال لقد كان يجب عليك أن لا تصغى لأقوال فتاة قاصرة خبلها الحزن فان السيد الوحيد هو أنا أما أنت فلست بشيء

قال بل أنا هو الذى احتاره المركيز الفقيد لتأييد ما أراده من عدم ادخالك الى منزله وأنا هو السيد هنا كما سمعت من فمها الآن

أما قولك انها فتاة قاصرة فانى أعلم منك بعمرها فانها أصبحت راشدة منذ ثلاثة أيام ولا حاجة لها بوصايتك

قال أيها الفتى انك لا تعرف الذى تخاصمه

قال وأنا أقول لك أيها الكونت احذر أن أذكر الأسباب التى تدعونى الى فعل ما أفعله وأن أبرهن لك انى لا أخافك فان الذى أشكك به الآن قد يكون أشد سفالة مما علمتــه ولا بد يومًا من أن أناقشك الحساب

قال لقد كنت أود ان أصفعك ولكن لا فائدة من ذلك فانى أعلم يقينًا انك لا تبارزنى فاثبت فى موقفك وقدر ما تستطيع

ثم تركه وانصرف مغضبًا لا يلوى على أحد

* * *

خرج الكونت وهو يقول فى نفسه

ان موت المركيز لابد أن يؤخر زواج بنته الى أن تنقضى مدة الحداد

ولا شك أن ريبو من خيرة الرجال الذين يعتمد عليهم فى المهمات فقد قتله دون ان يدع أثراً للريبة به ودون ان يكون لى يد فى الجريمة

ثم ذهب تواً الى منزل المركيز فى باريس ولقى ريبو هناك فقال له

أرى انك سيء البخت يا ريبو فقد فقدت منصبك

قال هذا لا ريب فيه فلم يبق لى سبيل الى البقاء هنا بعد قتل المركيز ولكنى أطمع بكرم سيدى الكونت

قال أرى أن تصبر الى أن يقيلوك

- أشكر سيدى الكونت لهذه النصيحة وسأعمل بها

- ثم انهم قد يحتاجون الى شهادتك

- وانى مستعد للشهادة

- حسنا فعند ما تفرغ جيوبك من المال تعال الى

- أى مال تعنى يا سيدى

- يقال ان المال الذى كان فى خزانة المركيز فى منزله الريفى نقص ألف فرنك وانك تستطيع بهذا المبلغ أن تقيم فى ضواحى باريس وان تصبر أليس كذلك

ثم تركه دون أن يسمع جوابه وانصرف فقال ريبو فى نفسه

انه لم يعطنى شيئًا بعد وهو يريد أن يحاسبنى على ما سرقته لا بأس فسأصبر أيها الكونت الى أن تصير غنياً ولكنك لا تعلم موقفى معك فان ابنة المركيز اذا ماتت قبل زواجها عادت ملايينها الى روبرت

دى لنتراك ولا تكون لك هذه الملايين الا إذا أردت بفضل هذه الوصية التى سرقتها ولكن لا بد لى من تخبئتها فى محل أمين فان وجودها عندى يثير بى الظنون

ثم أخرج الوصية من جيبه فخبأها فى مكان خفى لا يمكن أن يهتدى اليه أحد وقال

ليبحثوا الآن عنها قدر ما يشاؤون فانهم لا يهتدون إليها الا اذا أردت . .

* * *

وعادت لوسيانا الى باريس وتولى روبرت ادارة شؤونها وبحثا بحثًا دقيقًا بمعاونة رجال البوليس فلم يهتدوا الى أثر القاتل ولم يعلم كيف سرقت الوصية

ولكنه لم يكترث لها فان لوسيانا كانت قد بلغت سن الرشاد وهو لم يكن يطمع بملايينها بل كان يكتفى بحبها

وقد اتفق بعد ذلك ببضعة أيام ان روبرت دهب الى ناد كان ريدال من أعضائهِ

وبينما هو يحادث صديقًا له مرّ بهما ريدال فلما ابتعد عنهما قال له صديقه .

أتعرف هذا الرجل فانه متأثر لموت المركيز كتأثرك

قال أما هو جاك ريدال

– نعم وقد أنقذ ابنة المركيز مرة من خطر عظيم

– هو ذاك

– وكذلك كان تأثره لقتل المركيز

– لماذا وما كان يرجوه من المركيز فى حياته

– كان يرجو أن يأذن له بزواج بنته

– ان ابنته لو كانت مطلقة القلب لوافقته الآن

– نعم ولكن لا بد له أن يصبر الى انقضاء مدة الحداد

– ألعل المسيو جاك ريدال واثق من انها ترضى الزواج به

– انه يثبت ذلك

فابتسم روبرت وقال له انه فى ضلال

– لماذا فان جميع أعضاء النادى باتوا واثقين الآن ان انقاذه الفتاة يفضى الى الزواج بها

– انهم كلهم مخطئون فان الآنسة دى روكيرين مخطوبة بموافقة أبيها

– أنت واثق مما تقول

– دون شك فانى أنا خطيبها

أهنئك أيها الصديق فان لها سبعة ملايين فرنك كما يقال

– لا اكترث لملايينها فان الذى يهمنى أن تكون زوجة رجل شريف يحبها

– فأسألك المعذرة أيها الصديق فانى لم اكن عالمًا بشىء من هذا

لا سبيل الى لومك فان المحطىء هو الذى أشاع هذه الاراجيف ثم افترقا فلم تكن غير هنيهة حتى كثر الحديث فى النادى بهذا الشأن وكان الجميع يعتقدون ان جاك ريدال سيفوز بابنة المركيز و بملايينها

أما روبرت فقد كان غضبه شديداً إذ بات واثقًا ان هذه الاراجيف لم يذعها الا جاك ريدال فجعل يقول فى نفسه

نرى أى غرض له فى ترويج هذه الاشاعة الا اذا كان يعد مشروعًا يرجو أن تفيده تلك الأشاعات فى تحقيقه

على انى أجهل مشروعه ولا يسعنى احباطه الا بالاسراع بعقد الزواج وليقل الناس ما يقولون بعد ذلك فانى لا استطيع منع المكايد عنها الا بالزواج

وقد دخل وهو يحدث نفسه بهذه الاقوال الى قاعة كان ريدال موجوداً فيها

فبينما هو واقف بجانبه مر بهما . أحد أعضاء النادى وسأل ريدال قائلاً

متى يكون الزواج يا موسيو ريدال

فأجابه بصوت مرتفع كى يسمعه روبرت فقال بعد انقضاء مدة الحداد

فغلت الدماء فى عروق روبرت ونظر الى ريدال فقال له

أرى أنك تتحدث بلهجة الواثق عن مشروع زواج لم تتحقق لك نتيجته بعد

فأجابه قائلاً

لك أن تظن بالنتيجة ما تشاء ولكنى – وهؤلاء السادة شهود – لا أكتم شيئًا من مقاصدى ولا أخاف أن يشبهونى باولئك الأغرار الذين يبحثون عن الأمهار

قال انى أطمع متلك بالزواج من ابنة المركيز ولكنى أتعهد أمام هؤلاء الأسياد بأنى أخلصك من مزاحمتى اذا كنت تجسر على أن تثبت بأنها تركت لك أقل رجاء تطمع به

قال ليس هنا موضع الاباحة بالاسرار فقد تضطر الآنسة لوسيانا نفسها الى تكذيبها فان الرجل الشريف . . .

فتوهج روبرت غضبًا وقاطعه قائلاً لا تذكر الشرف بلسانك فانك تدنس الشرف

ثم صفع وجهه بقفازه فأسرع الحضور وحالوا بينهما فقال ريدال لقد شهدتم كلكم ما قاله فان من يدافع عن فتاة شريفة بهذه الطريقة يكون قد أهانها . وأنت يا موسيو دى لنتراك لم يبق لك بد من ترضيتى بعد اهانتى

قال دون شك فعين شهودك وليضعوا شروط القتال كما يشاؤون

و بعد إن عاد الى منزله أخذ يفكر فى نفسه اذا كان يجب عليه اخبار لوسيانا بعزمه على مبارزته فارتأى أن لا يخبرها بشيء كى لا تقلق عليه ولكنه ارتأى أن يخبر لويزا امرأة الكونت إذ كان يعلم أنها تحب

خطيبته حب أخت فكتب اليها يخبرها بمبارزته و يوصيها بلوسيانا خيراً و يحذرها من مطامع أعدائها الذين لم يقتلوا اباها ولم يدفعوه الى هذه المبارزة إلاّ لطمعهم بأموالها

وعند الصباح أرسل هذه الرسالة مع خادمه وذهب الى ساحة المبارزة

* * *

أما لويزا فقد كان اضطرابها عظيماً حين تلت هذه الرسالة إذ كانت تعلم ما يكيده روحها فان روبرت أراها تلك الابرة التي وخز الكونت بها حواد ابنة أخيه فجرح كما تقدم وكاد يقتلها

وقد صبرت في منزلها الى الساعة الثامنة من المساء في انتظار الكونت فلم يحضر ولكنه أرسل لها رسالة برقية أخبرها فيها أنه مدعو للعشاء عند صديق له وانه لا يعود قبل انتصاف الليل

فأيقنت أنها حجة كافية تذرع بها لبعض الأغراض وذهبت من فورها الى منزل صديقتها لوسيانا وسألت عنها الخادمة فقالت لها أنها ذهبت

قالت مع من

– وحدها

– لا شك أنها مدعوة

– لا أظن يا سيدتي فانها كانت تلبس ملابس بسيطة حين ذهابها

– أين مربيتها

– أتريد سيدتي الكونتيس أن تراها

- فى الحال
- تفضلى يا سيدتى واتبعينى
- أأنت حديثة العهد فى المنزل
- نعم يا سيدتى
- وريبو أين هو
- انه استقال بعد موت المركيز
- حسنا فقولى للمربية توافينى الى هنا

وبعد هنيهة أقبلت المربية فقالت لها الكونتيس كيف خرجت لوسيانا وحدها والى اين ذهبت

فرفعت يديها الى السماء وقالت

لقد بذلت مجهودى فى سبيل منعها ولكنها أبت ان تصغى الى

- ولكن الى أين ذهبت
- لا يعلم غير الله ولكنى أظنها ذهبت الى خطيبها

ثم دنت من مائدة فأخذت عنها ورقة مطوية فدفعتها الى الكونتيس وقالت لها

انها لم تكد تقرأ هـذه الورقة حتى خرجت شبه هائمة دون ان تكترث لاعتراضى

فأخذت الكونتيس الورقة بيد ترتجف وقرأت فيها ما يأتى :

« عزيزتى لوسيانا

انى حريج فى أوتيال وأريد ان أراك قبل الموت

روبرت دى لنتراك

فلما أتمت قراءتها سألتها المربية فائلة ماذا ترين يا سيدتى

قالت أرى ان هذه الرسالة لم يكتبها دى لنتراك

ثم أخرجت من حيبها الرسالة التى كتبها اليها روبرت فقابلت بين الخطين وقالت

نعم ان هذه الرسالة ليست منه

قالت اذن من الذى أرسلها

– لا أعلم . . . لا أعلم ولكننا أصبنا بنكبة لا محالة

– رباه رباه

– هل ركبت مركبتها

– كلا فقد حرحت شـــبه مجنونة وقالت انها ستستأجر مركبة فى الطريق

– اسرعى ومرى الخادم ان يعد لى مركبة فلا بد لى من ايجادها

* * *

أما لوسيانا فانها حرحت من منزلها وسارت فى الطريق وهى لا تعى على شىء حتى وجدت مركبة فصعدت اليها وأمرت سائقها أن يسير بها

قال الى أين تريدين الذهاب يا سيدتى

قالت سأخبرك حين أريد النزول

ذلك لأنها لم تكن تريد ان يعلم أحد انها ذاهبة الى منزل خطيبها فان ذهاب الخطيبة الى خطيبها غير مألوف

ولم تكد تسير مركبتها حتى سارت مركبة فى أثرها فلما وصلت الى شارع مجاور للشارع الذى يقيم فيه خطيبها أمرت السائق بالوقوف فنقدته أجرته وسارت بسرعة وقد وقفت المركبة التى كانت تقفوها وخرج منها رجلان فسارا مسرعين أيضًا فى أثرها

وكان الظلام حالكاً وليس فى الطريق أحد فلم تسر بضع خطوات حتى شعرت أن الرجلين قد أطبقا عليها وكما فمها قبل أن تتمكن من الاستغاثة

ثم حملاها وعادا بها الى المركبة التى كانت تنتظرهما ولكن لوسيانا لم تعلم بشىء من ذلك فقد أغمى عليها قبل الوصول الى تلك المركبة

* * *

أما الكونتيس فانها ركبت المركبة وأسرعت بها الى منزل روبرت فلم تجد فيه غير خادمه فدهشت وقالت له

أين سيدك ألم يعد بعد

قال كلاّ يا سيدتى الكونتيس فهل تريدين أن تنتظريه

قالت نعم سأنتظره الى الساعة الحادية عشرة فاذا لم يعد كان مصابًا لا محالة بجرح خطير منعه عن العودة الى منزله ألا تعلم أين مكان المبارزة

قال نعم يا سيدتى فقد جرت فى شاتيل

وقد صبرت نصف ساعة فاشتد اضطرابها على روبرت ولوسيانا أما روبرت فان عدم رجوعه دليل على إصابته وأما لوسيانا فعدم وصولها

الى منزل خطيبها يدل على سقوطها فى كمين وأن الأعداء قد فازوا بالاثنين فى ليلة واحدة ولم يبق من وارث للمركيز غير أخيه السفاك فقالت فى نفسها

انى سأنتقم لهما ولو لقيت الموت وأن هذه الرسالة التى وردت الى لوسيانا وتزوير خط روبرت كافيًا لاثبات الجريمة

وقد مدت يدها الى جيبها تحاول مراجعة هذه الرسالة التى أعطتها إياها مربية لوسيانا فلم تجدها فقالت

رباه ألعلى فقدتها

ثم أسرعت عائدة الى مركبتها وهى ترجو ان تكون سقطت فيها فلم تجدها

وعادت الى منزل روبرت فصبرت فيه الى الساعة الحادية عشرة ثم رجعت الى منزلها بعد أن أوصت الخادم أن يخبرها فى الصباح اذا عاد روبرت

وقبل أن تعود الى منزلها مرت بمنزل لوسيانا وسألت عنها فقيل لها انها لم تعد بعد .

فعادت والدنيا لا تسعها لفرط اضطرابها ودخلت الى غرفة زوجها لتفتقده فوجدته نائمًا فى سريره نوم المطمئن

* * *

ولنعد الآن الى روبرت فان الشهود قرروا أن كون المبارزة بالغدارات بناء على طلب ريدال

وفى الساعة السادسة من الصباح اجتمع الخصمان والشهود والطبيب فى ساحة المبارزة وجرى القتال بينهما فأصيب روبرت برصاصة وسقط على الأرض

وقد أسرع الطبيب اليه وبعد أن فحص جرحه فحصًا دقيقًا قال أرجو أن أتمكن من انقاذه ولكنى لابد من ابقائه فى شافيل فانه لايحتمل مشاق السفر الى باريس

وقد حملوه الى مركبته بملء الاعتناء فسارت به الى شافيل وكتب الشهود تقريرهم عن المبارزة وعادوا الى باريس

وهناك ودع ريدال الشهود وذهب الى قهوة كان قد واعد الكونت على الالتقاء بها

وبعد هنيهة أقبل الكونت فسأله قائلاً ماذا كانت النتيجة

قال ألا يدلك وجودى معك عليها

قال أن وجودك يدلنى على أنك لا تزال حيًا وأما هو فماذا أصابه

- أنه قد يكون مات الآن فقد أصبته بجرح بالغ
- لنفترض أنه لم يمت فكم يقيم فى الفراش
- عشرين يومًا على الأقل
- أنه فى كل حال لا يعيقنا عن مشروعنا فى هذه الليلة
- هل أنت متأهب
- دون شك فاصغ الىَّ الآن : أن روبرت اذا كان قد مات فلا بد لك من الفرار

– كلا فان فرارى يثير الظنون فيحسبون انى قتلته اغتيالاً

– لا سبيل الى الظنون بعد قرار الشهود ومع ذلك فانك لاتهرب وحدك بل تصحبك سيدة حسناء تكون خير شفيع لك فى الفرار . أفهمت . . . أنك ستسافر مع لوسيانا

– انى مستعد للفرار بشرط أن ننجح

– أن النجاح مضمون

– كيف ذلك

– ذلك أن لوسيانا ستذهب فى الليل الى منزل خطيبها فقد كتبت إليها رسالة تصلها فى الساعة الثامنة من المساء والرسالة بلسان خطيبها يخبرها أنه حر يح

– ألم تخف أن يعلموا من الذى أرسلها

– كلا فانها لم تكتب بخطى ولا بخطك و بعد فان لوسيانا ستكون فى قبضة يدنا ولا بد لها أن تمتثل لما نريد بالغصب أو بالرضى

– .ما هى الخطة التى وضعتها

– أنه يوجد طريقان للوصول الى منزل روبرت فأنت تكمن لها فى أول الشارع المؤدى الى منزله وأنا أكمن لها عند منزلها فاينا ظفر بها حملها الى المركبة فلا تنس الحبل والكمامة

ثم أن عندى رجلين مخلصين لى فواحد يصحبنى وآخر يصحبك

– وأين نلتقى

– فى المنزل الذى استأجرناه لهذا الغرض

* * *

وفى صباح اليوم التالى كان أول ما فعلته الكونتيس حين صحت من رقادها أنها خرجت من المنزل دون أن ترى روجها وسارت الى منزل روبرت فعلمت من الخادم أنه لم يعد بعد

وقد ذهبت دون تردد الى شافيل وعرفت المكان الذى يعالج فيه روبرت وذهبت إليه فوجدت عنده الطبيب

أما الطبيب فانه أذن لها أن تحدثه ولكنه أوصاها أن لا تدعه يتكلم كثيراً فان الكلام يؤذيه

ثم تركها واياه فرأت الكونتيس أن تكتم عنه احتفاء خطيئته فقالت له

انى أشكرك لثقتك بى وأرجو أن تتعافى قريباً وأن لا يكون شىء مما تخافه على خطيبتك فانى لا أفارقها قبل أن تعود

قال نعم نعم اسهرى عليها

قالت اطمئن فماذا تريد أن أقول لها

قال لا شىء بل إحرصى عليها وأحذرى

قالت سأفعل وانى أرجو لك الشفاء العاجل فنعمل معاً على دفع هذه المكايد

غير انى أستحلفك بلوسيانا وبكل مقدس لديك أن تجيبنى بكلمة واحدة عما سأسألك عنه كى أعلم كيف أنهج فى المستقبل فهل تعتقد أن زوجى له يد فى قتل أخيه المركيز لطمعه بثروته

قال نعم

فنهضت وقالت بصوت مختنق

أشكرك والى اللقاء ياسيدى فقد قضيت على الكونت وأنا الآن أرملة

وقد ودعته وعادت الى منزلها فوجدت زوجها فى قاعة الاجتماع

* * *

وقد دنا منها كى يقبلها وهو يقول انك خرجت باكراً فى هذا الصباح

لكنها تراجعت نافرة وقالت له لا تدن منى فانى غاضبة عليك

– ما سبب هذا الغضب

– سببه أنك لا تثق بى

– ما الذى ظهر من عدم ثقتى

– أنك كتمت عنى مبارزة دى لنتراك

– أتعنين مبارزته مع ريدال

– نعم فقد كنت أخاف أن تتجاهل أيضاً هذه المبارزة

– انى لا أحمل كرهك لصديقى ريدال ومهما يكن سبب هذه المبارزة فاية فائدة لك من معرفته وفوق ذلك فان المبارزة حدثت أمس ولما عدت فى المساء لم أجدك فى المنزل فأخبرك

– ألعلك تلومنى لخروجى من البيت

– كلا ولكنى . . .

فقاطعته قائلة نعم انى ذهبت بنفسى لأقف على أنباء المبارزة وعلمت

أن روبرت جرح فيها فهل كنت من الشهود

– كلا

– عجبًا كيف أن جاك لم يعينك من شهوده وهو من أخلص أصدقائك

– لقد كان ذلك فى نيته ولكنه رجع عن دعوتى لعلمه أن روبرت كان من أصدقاء أخي المنكود

– نعم لقد كان ذلك كافيًا ولا سيما أنك كنت عالمًا من قبل بنتيجة المبارزة

– ما هذا الذى تقولينه

– انى أوضح لك مرادى وهو انى أظن بان هـذه المبارزة كانت شبه مكيدة

– أية مكيدة هذه فانك اذا تقمت على أحد الناس عاملته من غير اشفاق فأعلمى أن روبرت هو الذى خاصم جاك ودعاه الى المبارزة

– بل انى أعتقد أن ريدال صديقك هو الذى حمله على خصامه فان من فائدته قتل روبرت

– أية فائدة يجنيها من موت صديقك روبرت

– نعم أنه صديقى وانى مستعدة للدفاع عنه ضد صديقك ريدال أى ضدك

وهنا بدأ الجدال يشتد بينهما ورأى الكونت من زوجته ما لم يكن يتوقعه فقد كان يحسبها شبه حمامة وديعة فاذا هى بعد شدتها شبه لبوة فأراد أن يتلطف حهده بالجدال فقال لها

أنك غير عادلة يا لويزا فى احكامك . انى أرى الحدة تبتدرك فى شأن مبارزة لا غرض لك منها

ـ أتقول أن لا شأن لى فيها وانى لو عرفت بأمرها منك أو من سواها لخاطرت بحياتى فى سبيل منعها

ـ ماذا كنت تصنعين أنك كنت تحاولين المحال

ـ بل كنت أحد واسطة لمنع صديقك عن المبارزة بأن أتوعده بشكواه الى البوليس ولكن فات الأوان الآن أما أنت فانك تتظاهر بأنك لا تفهم غرض ريدال من قتل روبرت فانه أصابه بذلك الجرح كى يمنعه عن الدفاع عن خطيبته

ثم ارتكب جريمة أعظم باختطافه لوسيانا ونصب فخ لها فمادا يريد أن يصنع الآن . أجبنى

ـ أنا أحيبك . . . يظهر أنك فقدت صوابك فمادا جرى لابنة أخي

ـ أن ابنة أخيك خرجت من منزلها أمس ولم تعد إليه حتى الآن

ـ انى أجهل ذلك

ـ أتقسم لى

ـ أقسم بشرفى انى لم أكن أعرف شيئًا من هدا

ـ وأنا لا أثق بيمينك

ـ أنك تهينيننى إهانة لا يجسر عليها أحد فى الوجود أتسكين بكلامى بعد أن أقسمت لك بشرفى

— نعم أشك

فتوهجت عيناه من الغضب وهجم عليها يريد ضربها لكنه تراجع مسرعًا عن هذا القصد وقال لها

أنك امرأة فلو كنت رجلاً لما كنت الآن فى قيد الحياة ولكنى أدعك تعاقبين نفسك بالندم

قالت لكنك تستطيع بدلاً من هذا العصب أن تزيل الشكوك منى اذا كنت تراها غير صائبة

— كيف أستطيع

— بطريقة واحدة يتوقف عليها أيضًا مستقبل حياتنا

— ما هى هذه الطريقة قولى

— هى أنه من الآن الى خمسة أيام من تاريخ هذه الساعة اذا لم تعد لوسيانا دى روكبيرين الى منزلها قطعت يدى وتاق رواجنا وحسبتك من الأموات

— ولكنى اذا رضيت بهذا الشرط كنت كأنى قد اعترفت باشتراكى باختطافها وهو ما يزيد تلك الاهانة التى وصمتنى بها منذ هنيهة

قالت انى أمهلك خمسة أيام فتدبر

ثم تركته وذهبت الى غرفتها ولبث فى موقفه يضرب أخماسًا لاسداس وهو لا يعلم ما يكون فانه لم يكن يسعه إغضابها وهو عالم من فضلها ولا بد له من الصبر الى أن يظفر بأموال أخيه فينتقم منها كما شاء

* * *

ومضت الأيام الخمسة فكانت الكونتيس تذهب فى كل يوم الى شافيل فتسر بما تجده من تقدم روبرت الى العافية

وكان فى كل يوم يسألها عن خطيبته فتبدل جهداً عنيفًا كى تمنع دموعها عن الانسكاب وتقول أنها فى خير

وقد سألها مرة قائلاً

ألم يذهلها انقطاعى عن زيارتها فى هذه الأيام

قالت كلا فان تقتها بك عظيمة وهى تعتقد أنك لم تنقطع عنها إلاّ لسبب ليس فيه غير خيرها

وقد باحثت الطبيب فى شأنه فقال لها

أن الحمى لم تفاجئه كما كنت أخاف وقد زال عنه الخطر

— كم يقتضى له من الزمن لينهض من الفراش

— خمسة عشر يومًا

— وهل يكون زمن النقاهة طويلاً

— أضيفى خمسة عشر يومًا أيضًا

فارتعشت وقالت فى نفسها

أنه لا يستطيع أن يبحث عن خطيبته إلاّ بعد شهر فما عساى أصنع وحدى وأنا امرأة

ولكنها كانت ترحو فى كل يوم أن يأتيها زوجها بالخبر اليقين

غير أن زوجها لم يكن يبرح المنزل إلاّ فى القليل النادر بحيث أيقنت أن الذى سحن الفتاة إنما هو جاك ريدال فانه لم يزر الكونت مرة بعد المبارزة و بعد أن كان يزوره فى كل يوم

ثم ذكرت ما كان يظهره ريدال لها من تشغفه بلوسيانا فثارت هواجسها وتعاظم خوفها على صديقتها وأيقنت أن هذا اللص لم تكن اطماعه مقصورة على أموال الفتاة

وفى اليوم الخامس كانت لا تزال ترجو أن يأتى اليهـا زوجها نادماً مستغفراً

ولكنه كان جالساً فى غرفته يقرأ جريدة وهو ساكن مطمئن فنادت خادمة غرفتها وقالت لها

إذهبى الى منزل المركيز — اسألى مربية لوسيانا اذا كان لديها أنباء جديدة

فذهبت الخادمه وعادت فقالت لها

لم يحدث شيء جديد

فقامت الى المنضدة وكتبت الى زوجها الرساله الآتية

سيدى

« أن المهلة التى عينتها لك قد انقضت دون أن تعود لوسيانا الى منزلها ولذلك فانى ذاهبـة الى أهلى وسأفارقك فراق الأبد فلا تطمع بلقائى »

لويزا ديباستان

وقد أمضت الرسالة باسمها القديم اشارة الى أنها طلقته بتاتاً ثم جمعت حلها وملابسها فوضعتها فى حقائبها وعولت على الانصراف

القسم السابع

الغريقة

لقد رآها زوجها الكونت حين كانت تحاول الانصراف ورآى حقائبها فقال لها

الى أين أنت ذاهبة

فأشارت الى الرسالة التى كتبتها ووضعتها على المائدة فقالت له أن هذه الرسالة تنبئك

فأقفل الباب من الداخل وقال لها اصغى إلىّ

فتراجعت منذعرة لتوهج عينيه وقالت له

كلا كلا

قال لماذا لا تريدين أن تسمعينى

– لأنك لا تقول كلمة صدق

– بل أنك فقدت رشادك واذا كنت كاذبًا فكيف اتفق أن جميع الناس لا يثقون بشىء مما تقولينه فى هذا الشأن فى حين أنهم يثقون بى كل الثقة

– لأنك أمهر منى وبعد فانى لم أفهم ما تعنيه فأوضح ما تقوله

– إذن أنت تريدين أن تسمعيني الآن

– انى اسمعك مضطرة لأنك حبستنى واكرهتنى أن أخضع للقوة

– بل أنك واهمة فان واجباتى تقضى علىّ بالدفاع عنك

– لا أريد أن تدافع عنى فما أنا محتاجة الى دفاع أحد وان غيرى أولى منى بدفاعك

– أنك تعنين ابنة أخي دون شك ولكن حبك إياها قد أضل صوابك فدافعت عنها من غير حق وعرضت نفسك للتهم

– ماذا تعنى

– أعنى أن ابنة أخي قد ذهبت بملء رضاها مع جاك ريدال وقد أحرجتنى حتى اضطريتنى الى قول هذه الحقيقة المؤلمة

– كفى كفى ولا تزد كلمة

– انى أروى لك ما يتحدث به جميع الناس

– هات البرهان

– البرهان . انى لا أجسر على قوله حذراً من أن يحمر وجهك من الخجل فقد كنت أحسب أنك بريئة

– قل فما هذه الرواية التى تمثلها

– انى لا أمثل بل أقول ما يرويه الناس

– ماذا يقولون

– يقولون أن ابنة أخي هربت مع جاك ريدال حين أيقنت أن روبرت لا يحبها فدفعها اليأس الى الفرار

- كلا فان روبرت يعبد لوسيانا

- ولكن الناس لا يصدقون و يقولون أنه يحبك أنت فهل تريدين فراقى بعد الآن

فصاحت الكونتيس صيحة دهش وقد تنازعت فى قلبها عوامل الأنفة والرعب الى أن تغلبت عواطف الكبرياء فقالت له وأنت أيها الكونت أتثق بأقوال الناس

فتردد هنيهة ثم قال بلهجة المشفق

كلا يا لويزا كلا

- إذن فأعلم أنك مخطىء

- ويح لك أيتها الشقية أتعترفين

- نعم اعترف فاقتلنى

ثم ركضت الى درج ففتحته وقالت له

ان مسدسك هنا

فلم يتحرك من موضعه وذهبت الى الباب ففتحته وخرجت دون أن يمنعها فذهبت من فورها الى ادارة البوليس وخلت بالمدير فشكت اليه اختطاف ابنة المركيز فكان يسمع أقوالها وهو يتبسم حتى اذا انتهت من حديثها قال لها ان ابنة المركيز يا سيدتى بالغة سن الرشاد وقد عرفت باختفائها وأيقنت انه لا يوجد جريمة

ثم ان الذى يعنيه أمر اختفائها لم يعرض شكواه وما ذلك إلا لأن

الكونت دى توريلى واقف على الحقيقة فرأى ان السكوت خـير من الشكوى وزيادة الفضيحة

فخرجت من عنده تتعثر بأذيال الخيبة وذهبت الى منزل أبيها وهى لا تدرى ما تصنع

***

ولنعد الآن الى ريبو صنيعة الكولونيل وقاتل المركيز فانه بعد أن خرج من منزل المركيز خروج آدم من الجنة جعل يسير فى الشوارع هائمًا وقد ثقلت عليه دماء المركيز فأقام يومين وهو ينتقل من خمارة الى خمارة الى أن فقد معظم المال الذى سرقه من خزانة المركيز ولم يبق معه إلاَّ مائة وخمسين فرنكا فسار بها الى زوجته فدفعها اليها وقال لها

هذا الذى كافأتنى به ابنة المركيز بعد وفاة أبيها حين أطلقت سراحى

فتحملت هذه المصيبة بالصبر وقالت له

لا تيأس يا ريبو فسيعوضك الله خيراً

وقد قالت له هذا القول والدموع تسيل من عينيها فقال لها

لماذا تبكين يا غانيتيا

قالت انى تاعسة لبعد بنتى عنى وقلبى يحدثنى بمصاب

– لماذا ألعلها مريضة

– لا أعلم

– ألم تكتب اليك

- كلا فان اخبارها منقطعة عنى منذ شهر
- منذ شهر . ألم تكتبى الى التى تشتغل عندها
- نعم ولكنها لم تجبنى
- لا شك انك اخطأت بكتابة العنوان
- لا أظن
- لا تجزعى فقد تأتينا أنباؤها غداً
- ريبو اصغ الى . ان المال ميسور لدينا الآن وان قلق شديد فدعنى اذهب الى بلوا فأطمئن عليها

فأطرق مفكراً وقد قلق لقلق امرأته فقال لها

حسناً فاذا لم يردنا غداً منها كتاب تسافرين

وقد باتت المنكودة ليلتها دون نوم وفى صباح اليوم التالى لم يرد اليها كتاب من بنتها فذهبت الى محطة أورليف كى تسافر منها الى بلوا

وقد وصل قطار حين وقوفها على الرصيف ورأت الكونت دى تور يلى خارجًا منه فأسرعت الى الاختباء بين الناس كي لا يراها فانها كانت تأنف من محادثته ولو لم تكن قد برح بها الفقر لما التمست منه أن يساعد زوجها

ثم ركبت القطار ووصلت الى محل الخياطة التى كانت تشتغل فيه بنتها فدخلت اليه وجعلت تنظر الى العاملات باحثة عنها

وقد رأتها صاحبة المحل وسألتها قائلة ماذا تريدين

قالت ان فرنسيسكا لم تكتب لى منذ شهر فهل هى مريضة

فابتسم العاملات لقولها وسألتها صاحبة المحل قائلة

ألعلك أمها

قالت نعم

قالت اذن ان واحباتى تقضى على بأن لا أكتمك سبب انقطاعها عن مكاتبتك فانها خرجت من محلى منذ عشرين يوماً

– ألعلك طردتها يا سيدتى

– كلا بل انها ذهبت بملء رضاها فقالت لى أنها تريد أن ترى أمها ولكن بحثك عنها يدل انها لم تكن صادقة فى ما قالته

فخيل لتلك الأم المنكودة ان الأرض تهوى بها ولم تستطع ان تعلم شيئاً من العاملات فخرجت وجعلت تمشى فى شوارع بولوا مشية السكرى الى أن جاء القطار فعادت فيه الى باريس

وعند وصولها الى المحطة رأت الكونت مرة ثانية يركب القطار المسافر الى الريف فقالت فى نفسها

ترى أى شأن له فى الريف فقد رأيته فى المحطة مرتين فى يوم واحد ولكنها لم تكترث لذلك وذهبت فلقيت زوجها وأخبرته بما كان فأطرق اطراق المستسلم للأقدار ولم يظهر أمام امرأته شيئاً من اليأس

حتى اذا خلا الى نفسه استرسل الى قنوطه فجعل ينتف شعره و يمزق جلده بأظافره و يضرب الجدار برأسه و يقول

ويل لى لقد جوزيت بما أستحق فقد قتلت المركيز فأرسل لى الله من فجعنى بابنتى . . رباه رد الى ابنتى فان اليأس سيقتل امرأتى

وقد حدث ذلك بعد تسعة أيام من قتل المركيز وقبل أسبوعين من مبارزة روبرت

فلما عادت اليه السكينة ورأى أن تماديه فى اليأس لا يفيده عاد اليه طبعه القديم فقال

انى سأنتقم للشر بالشر بل أنتقم من جميع البشر فان الذى فجعنى بابنتى منهم

وقد لقيه الكونت وهو حاقد على الناس والانسانية فسهل اتفاقه معه على اختطاف لوسيانا ولا سيما بعد أن نقده مبلغًا كبيراً

غير أن الذى اختطفها انما كان كاباريت بمعاونة ريدال وقد رأى الكونت أنه لا فائدة من اخبار ريبو بالمكان الذى حملوها اليه بل أنكر عليه الاختطاف فقال له

اننا لم نفلح باختطافها يا ريبو ومتى احتجت اليك أخبرتك

ومن ذلك العهد لم يعد ريبو يرى الكونت فكان يقول فى نفسه أن الكونت أبى أن يشركنى فى سره وأراد أن يتمتع وحده بأموال المركيز وهو لا يعلم انى له بالمرصاد فان اخفاء لوسيانا قد يكون سهلاً وأما اثبات موتها للحصول على أموالها فليس من الأمور الهينة .

وفوق ذلك فهو لا يعلم أن وصية أخيه بيدى وأنى أقضى على أمانيه القضاء المبرم حين أريد

* * *

أما الكونت فانه بعد أن فارقته امرأته جزع جزعاً شديداً ايس عليها بل لأنها هى التى كانت تنفق عليه وعلى المنزل من أموال أبيها

ومع ذلك فانه لم يطلق سراح الخدم ولم يكتم خبر فراق امرأته فكان يدافع عنها ويشفق عليها ومع ذلك فانه لم يكن يظهر أسفه لفراقها

وكان النـاس قد تحدثوا كثيراً بشأن اختفاء ابنة المركيز وريدال وأنكروا فى البدء أن تكون هربت واياه اذ لم تكن فى حاجة الى الفرار وهى راشدة وأمرها بيدها

ولكنهم علموا بعد ذلك دون أن يعلم أحد مصدر الاشاعة أنها مقيمة مع ريدال فى لندرا وأنها برحت باريس لأن أباها كان قد قيدها بخطبة دى لنتراك وهى تحب جاك ريدال فلما قتل أبوها أبت أن تتقيد بذلك القيد وهربت مع الذى تحبه كى تتزوج به خارج باريس

أما الكونت المروج هذه الاشاعة بالسر فانه بعد اختطاف لوسيانا وبعد هجران امرأته شعر بالحاجة الشديدة الى المال حين فرغت جيوبه ورأى أنه لم يبق له بد من الاسراع فى ما ينويه

وكان قد وضع خطته الجهنمية فجعل يقول فى نفسه

أنه لا ينقذنى من هذا الموقف غير كاباريت فهل يرضى أن يعيننى على مشروعى

وقد جاء بكاباريت واتفق وإياه ويذكر القراء أن كاباريت هو الذى انتشل الفتاة الغريقة التى تقدم ذكرها فى مقدمة هذه الرواية وهو الذى جردها من ثيابها الخارجية وربطها بحبل الى دفة القارب وأدلاها فى المياه تحته

أما اتفاقه مع كاباريت فلم يكن إلاّ بعد أن أفرغ مجهوده فى التفكير كى يجتنب قتل ابنة أخيه ويرثها فانه تداول بعد اختطافها مع جاك ريدال فى شأن قتلها فأبى جاك موافقته على الجريمة وارتأى أن يسجنها عنده سجنًا أبديًا

فاعترضه الكونت قائلاً أن كل غرضنا مما فعلنـاه أن نرث الأموال وهل يمكن أن أرث الأحياء

قال هو ذاك ولكننا نستطيع الايهام أنها ماتت

- كيف ذلك

- ألا يعلم جميع الناس انى هربت وإياها الى لندرا

- نعم

- اذن سأظهر بعد اسبوع فى باريس بملابس الحداد وأبكيها وأقول أنها أصيبت بحادثة قتلتها فيثق الناس بما أقول

- ولكنى لا أرث شيئًا ولا يفيدنى تصديق الناس

- لماذا

- لأن مثل هذا الموت لا يكفى لاثباته شهادة واحد ولا بد لنا من

شهود يشهدون أنهم رأوها ميتة فليس اثبات الوفاة سهلاً كما تتوهم

أما اذا شهدت هذه الشهادة وحدك فان المحكمة تعتبرها غائبة وتعين من تختاره هى للاحتفاظ بأموالهـا وفى هذه الحالة لا يحق لى أن أرث إلاّ بعد أن يُمضى على غيابها ثلاثون عامًا أى حين أصير فى حاجة الى من يرثنى

– ولكن اذا قتلناها فماذا يكون

– يكون ان موتها يصبح ثابتًا

– نعم بشرط أن يجدوا الجثة

– دون شك وهنا وجه الخطر فانهم قد يتهموننا بقتلها

– إذن ماذا نصنع

– نجد حتة فتاة نضل بها الحكومة فتحسبها جتة لوسيانا وتبقى لوسيانا فى قيد الحياة

– ذلك صعب ولكنى أوثر هذه الطريقة

أما هده الجثة فهى التى انتشلها كاباريت بعد أسبوع من هذا الاتفاق ذلك انه كمن فى جهة من النهر كانت مشهورة بكثرة الانتحار فقد دلت الاحصاءات الرسمية ان عدد الذين ينتحرون فيها كان معدله مائتين وستين فى العام

وقد كمن فى تلك الجهة الى أن رأى تلك الفتاة تنتحر فأخرجها من الماء ورمطها فى قاربه كما تقدم

أما الكونت فانه لقى ريدال وقال له

لم يبق بد من أن تبرح فرنسا فالى أين تريد أن تسافر

قال انى أوثر السفر الى لندرا فماذا يجب أن أصنع فيها

قال يجب حين وصولك إليها أن تجد امرأة شقراء يكون لها عمر لوسيانا فتعيش واياها بضعة أيام وتقيم معها فى فندق مشهور فاذا خلوت بها أسات اليها وعاملتها معاملة توجب الشكوى واما حين تكون واياها مع الناس فتحترمها وتعاملها حير معاملة

قال انى لم أفهم

قال سوف تفهم فيما بعد وقد فاتنى أن أقول لك انه يجب أن توهم الناس انها خطيبتك وتكون واياها فى عيونهم كالأخ مع أخته

- حسنا و بعد ذلك

- الى أن تأنف من قسوتك الباطنة وتوقن ان لطفك الظاهر تمويه فتتركك

- و بعد ذلك

- نرسل من فورك برقية الى النائب العام فى باريس والى الحكومة المحلية فى لندرا

- وهذه الرسالة

- تكون كما يأتى

« أتشرف بأخباركم ان خطيبتى الآنسة لوسيانا دى روكبرين التى

برحت واياها باريس سرا (وهنا تكتب التاريخ » تركتنى فجاءة وقد أصيبت بنو بة عصبية و بذلت مجهودى فلم أجدها

- والتوقيع
- توقع باسمك الصريح جاك ريدال
- ولكن من يتولى مراقبة لوسيانا فى غيابى
- سر مطمئن ولا تخف

وفى اليوم التالى سافر جاك الى لندرا و بعد ذلك ببضعة أيام تلقى النائب العام فى باريس تلك الرسالة البرقية التى أملاها الكونت على جاك

و بعد ذلك بيومين نشرت الجرائد الفرنساوية فى انباء الحوادث المحلية هذا النبأ وهو

« ان اختطاف تلك الفتاة الوارثة الغنية الذى اشرنا اليه فى عدد سابق قد أطلق المجال للألسنة فكثر تحدث الناس فيه

وكأنما قدر لهذه الأسرة المنكودة أن تكون من أهل الشقاء فقد مات والد الفتاة قتيلاً وهو من الأشراف المحترمين و يظهر ان الفتاة قد أصيبت بالجنون بعد أن تبعت خطيبها الى لندرا وانتهت حياتها بالانتحار فانه ورد الى النائب العمومى منذ بضعة أيام انها تركت خطيبها واختفت على أثر عارض أصابها

وفى صباح اليوم وجدوا جثة فى السين تشبهها بقامتها وشعرها ولكن وجهها لم يعرف لتغيره فى المياه

غير أنهم وجدوا على قميصها الحرفين الأولين من اسمها واسم أسرتها فلم يبق مجال للشك انها هى

* * *

أما روبرت دى لنترك فانه خرج من المستشفى الذى كان فيه قبل أن يتم زمان نقاهته وعاد الى منزله

وهناك علم من الجرائد التى كانت موجودة فى منزله منذ مبارزته الى عودته باختطاف خطيبته وقرأ انها سافرت الى لندرا مع جاك ريدال فكاد يجن من يأسه وحقد على الكونتيس حقداً شديداً لاعتقاده انها خدعته بكتمان الحقيقة عنه

ثم زارته الكونتيس فعاتبها وانجلى ذلك العتاب عن الرضى والاتفاق فشجعته باخلاصها وتشجعت بعودته فاتفقا على أن يعملا يداً واحدة لكشف النقاب عن الجريمة

ولكنه قرأ بعد يومين تلك المقالة عن انتحارها بالغرق وقرأت الكونتيس تلك المقالة أيضًا فأسرعت اليه وهى خائفة عليه من تأثير هذا النبأ

ولكنها وجدته غير واثق من تلك الانباء فاتفقا على أن يذهبا الى المكان الذى تعرض فيه الجثث المجهولة وفارقته على أن تعود اليه فى اليوم التالى

* * *

وأما الكونت فانه ذهب فى اليوم الذي قرأ فيه المقالة الى معرض الجثث

وهناك وقف أمام حثة الفتاة المعروضة وجعل يبحث فيها بحثًا دقيقًا ثم وضع يده على قلبه وصاح صيحة يأس شديد فأسرع اليه مدير المعرض وقال له

ألعلك عرفتها يا سيدى

قال نعم وأسفاه فانى عمها الكونت دى توريلى وهى لوسيانا ابنة المركيز دى روكيرين ولها من العمر اثنان وعشرون عامًا

وقد تكلف هيـأة من سحقته الأحزان وحاول الانصراف قانطًا فاستوقفه المدير وقال له

مهلاً يا سيدى الكونت ولا تنس أنه يستحيل علينا أن نكتب صك وفاتها إلاّ ادا وجد شاهد آخر يعرفها

فارتعش الكونت وقال سأبحث عن شاهد آخر

قال نعم وأرجع به قريبًا يا سيدى الكونت فان الجثة قد طال مقامها فى المياه و بدأ فيها الانحلال

فحياه الكونت وانصرف وهو لا يعلم أى شاهد ينتدبه لهذه المهمة الى أن خطر له ريبو فان شهادته سيكون معمولاً بها لأنه أقام زمنًا طويلاً فى خدمة المركيز فهو يعرف ابنته حق العرفان فذهب من فوره الى ريبو

وفى اليوم التالى ذهب روبرت والكونتيس الى معرض الجثث وطلبا أن يريا حثة ابنة المركيز دى روكيرين

وعند ذلك خرج الكونت وريبو من المعرض ورأته امرأته ورآها فلم يتبادلا كلمة

ودخل روبرت ولويزا الى حيث كانت الجثة فقال لهما المدير أن هذين الرجلين الذين خرجا الآن عرفاها وتقرر أن يتولى دفنها عمها الكونت توريلى

وكانت الكونتيس قد نظرت الى الجثة وقد شوهتها المياه فقالت أهذه هى لوسيانا . . أن هذا محال وكيف استطاع الرجلان معرفتها وكيف يمكن معرفة هدا الوجه وقد ذهبت عيناه وسقط جلده . ألاّ ترى أن هذا محال

وقال روبرت وأنا أقول قول الكونتيس وأعجب كيف أن هذين الرجلين عرفاها

فقال المدير أن معرفتها مستحيلة كما تقولان ولكنهما عرفاها من ثيابها وأنت يا سيدتى الكونتيس لقد كنت من صديقاتها ألاّ تعرفين ثيابها

قالت دون شك

وعند ذلك علا صوت امرأة عند باب القاعة فانها كانت تحاول الدخول والحارس يمنعها فسأل روبرت المدير قائلاً ما هدا

قال أنها امرأة ايطالية منكودة حنت لاختفاء بنتها وهى تأتى فى كل يوم فنمنعها من الدخول لأن البوليس علم أن بنتها هربت مع عشيقها

فأشفقت عليها الكونتيس والتمست من المدير أن يأذن لها بالدخول فأجابها الى ملتمسها وأمر بادخالها

وكانت هـذه المنكودة غيانيتا زوجة ريبو وهى منبوشة الشعر وكل

ما فيها يدل على الجنون فنظرت الى الجثة المعروضة دون أن تقول كلمة فانها لم تعرفها ثم نظرت الى الثياب التى كانت بجانبها ولم تكد تنظر اليها حتى ارتعشت فجأة فوضعت يدها عليها كأنها وجدت شيئاً تعرفه ثم شهقت شهقة عظيمة وانقلبت مغمياً عليها ويدها قابضة على ذلك الشيء الذى عثرت به

فأسرع روبرت الى نجدتها ونظر الى ذلك الشيء الذى كانت قابضة عليه فوجده صليباً فضياً معلقاً بسلسلة من الفضة

وقالت الكونتيس أن لوسيانا لم يكن عندها مثل هذا الصليب

فهمس روبرت فى أذنها قائلاً

لا بد لنا أن نعرف من هى هذه المرأة وان نعتنى بها كل العناية وان قلبى يحدثنى بأن الله أرسلها الينا

وعند ذلك صحت غيانيتا من اغمائها فجعلت تبتسم وتنظر الى الصليب فتقول

وجدتها . . . وجدتها

فقال المدير مسكينة أنها مجنونة .

فأجابه روبرت قائلاً لا شك أنها مجنونة ولكن قبضها على هذا الصليب واغماءها يدلان أن الصليب لابنتها وان هذه الصدفة قد أيدت ظنونى فان هذه الجثة ليست جثة ابنة المركيز

- ولكن يا سيدى . . .

— انى أعلم ما تريد أن تعترض به ولكنى أسألك أن تعرض شكوكى وشكوك الكونتيس وأقوال هذه المرأة على البوليس

— سأفعل

— والآن أرجوك أن تجيبنى على سؤال ياسيدى وهو أنه اذا اعترفت هذه المرأة أن الجثة جثة بنتها فماذا يكون

— أرى أنه لا يكون شيء لأن هذا الاعتراف قد جاء بعد الأوان فقد كتب صك الوفاة ولا يمكن كتابة صكين لجثة واحدة

— وما يكون من تركتها

— يحق لوارثيها أن يرثوها منذ اليوم

— ولكن اذا كانت ابنة المركيز فى قيد الحياة

— لا أسهل من رد ثروتها اليها فما عليها إلا أن تذهب الى مدير البوليس بشاهدين من أهل الشارع الذى تقيم فيه فيشهدان انها فلانة وكانت غيابتا فى خلال ذلك نصيح حول الجثة وتندب بنتها

فأمر المدير الحارس باخراجها بعد أن يأخذ منها الصليب فكان بينها وبين الحارس نزاع شديد أسفر عن اغمائها أيضاً فأمرت الكونتيس أن يحملوها الى مركبتها

وخرج الجميع فودع روبرت الكونتيس قائلاً سأزورك فى هذا المساء لأعلم أخبار هذه الأمة

* * *

يذكر القراء أن غيانيتا زوجة ريبو أعطت بنتها فرنسيسكا صليباً من الفضة حين سافرت الى بلوا لتشتغل وقالت لها

البسى هذا الصليب يا ابنتى فسيكون لك خير معوذة تقيك المخاطر

فلبسته وسافرت ولكنها لم تسلم من الخطر لسوء حظها فانها أقامت تشتغل فى محل خياطة فى بلوا وهى حديثة السن لم تجربها الأيام ولم تردعها نصائح أبويها

فلم تقم بضعة أيام فى تلك المدينة حتى استغواها أحد الفتيان وحملها على ترك ذلك المحل فأقام معها بضعة أيام الى أن نفد ما كان معه من المال

ثم تركها وشأنها غير مكترث مما يكون منها كسائر أولئك الفتيان الذين لا يتقون الله فى قلوب العذارى

وقد كبر ذلك عليها فلم تجسر على العودة الى المحل الذى كانت تشتغل فيه لافتضاح أمرها وعولت على الرجوع الى أبويها

ولكن لم يكن لديها أجرة السفر فذهبت من بلوا الى باريس ماشية على قدميها

وقد أدركها الظلام وهى على ضفة السين وعضها الجوع وانهكها التعب فضعفت قواها العاقلة وخافت أن يقتلها أبوها بعد ما بدر منها فتمكن منها اليأس وجعلت تسير على شاطئ النهر وقد تمثل لها غضب أبيها

بأفظع حالاته ففضلت الموت والقت نفسها فى النهر بينما كان كاباريت يراقبها

وعلى ذلك فان هذه الجثة المعروضة انما كانت جثة فرنسيسكا اسة ريمو

وانما عرفتها أمها من ذلك الصليب فان كاباريت كان قد ابقاها فى المياه ثمانية أيام حتى تغير وجهها ولم تعد تعرف وفاته أن ينزع الصليب من عنقها وعرفتها امها به حلافاً لأبيها فانه لم ينظر الى ملابسها حين ذهب الى معرض الجثث مع الكونت واكتفى بأن يثبت انها جثة ابنة المركيز كما أراد الكونت

وفى اليوم التالى لهذه الزيارة احتفل الكونت بتشييع جنازتها ولم يدع غير نفر قليل من أصدقائه بينهم جاك ريدال الذى كان قد عاد من لندرا

وقد مشى فى طليعة المشيعين وهو مستند الى ذراع ريدال يتكلف البكاء والحزن الشديد

وكان روبرت قد علم بموعد تشييع الجنازة فسار مع المشيعين بغية الاستطلاع وهو غير مكترث لوثوقه انه لا يسير فى جنازة خطيبته

غير انه مالبث أن أرتعش ارتعاشاً عنيفاً حين رأى الكونت يبكى وحين رآه مستنداً الى ذراع ريدال فان هذين الشقيين لم يصدهما موقف الموت عن الهزء وتمثيل الأدوار الشائنة

وقد صحبهم روبرت الى أن دفنوا الفتاة فى ضريح المركيز دى روكبرين

وبعد ذلك عاد الى لويزا فأخبرها بما كان ثم سألها عن الايطالية المجنونة .

فأجابته قائلة انها فى خير ورجائى وطيد أن يعود اليها صوابها فانى أخدمها بنفسى

– ولكنى أخاف أن لا تستفيد منها شيئًا

– دعنى أفعل يا روبرت ما يوحيه اليه قلبى فانى أشعر بقوة تجذبنى الى هذه المنكودة . وبعد ألا تذكر ان المركيز كان له قبيل قتله خادم يدعى ريبو

– نعم

– أتعلم أيضًا ان زوجى الكونت هو الذى أوصى به أخاه المركيز فعينه فى خدمته دون أن يسأل عنه لاكتفائه بشهادة أخيه

– كلا انى لم اكن أعلم شيئًا من هذا ولكن أية علاقة لما تقولين بما ترجينه من مساعدة هذه المنكودة

– ألم تر أمس ريبو

– أين

– فى معرض الجثث

– أهو الذى كان يصحب الكونت

– هو بعينه

– أية علاقة له بالكونت إلا اذا كان شريكه

ـ هذا الذى أعتقده فان هـذه الايطالية المسكينة أصيبت أمس بهذيان فكانت تذكر اسمى رجلين وتكررهما باضطراب بحيث تولد عندى شك هائل

ـ انى أخاف أن أكون قد عرفت هذين الاسمين

ـ أنهما الكونت وريبو

ـ زوجك وريبو إذن ستكون لنا هذه المرأة خير معين على اكتشاف سرهما فهل تؤملين شفاءها

ـ اطمئن فان الطبيب أكد لى أنها ستشفى فى أقرب حين

* * *

ولنعد الآن الى لوسيانا فانها بقيت مغمياً عليهـا فى المركبة حين اختطفوها فلم تعلم الى أين ذهبوا بها حتى اذا استفاقت من اغمائها وفتحت عينيها وجدت نفسها ملقاة على سرير فى غرفة لا تعرفها فذهلت ونظرت الى ما حواليها نظرة المذهل ثم ذكرت ما أصابها فصاحت قائلة رباه أين أنا

ولقد تذكرت كل ما مر بهـا ففرحت إذ أيقنت أنهم تصبوا لها فخاً وان روبرت ليس بمريض ولا بجريح وهو اذا كان سليما ومعافى فلا بد له من أن يبحث عنها وينقدها

وقد نزلت من سريرها ومشت الى أحد بابى الغرفة وحاولت فتحه فلم تستطع إذ كان مقفلاً من الخارج فذهبت الى الثانى فانفتح ورأت قاعة

صغيرة مفروشة خير فرش لم يكن فيها غير نافذة واحدة مشبكة بقضبان الحديد وليس لها باب ولا منفذ فحارت فى أمرها ولم تعلم سبب هذا الاختطاف ثم عادت الى الغرفة وقد أخذ منها اليأس فجعلت تبكى بكاء الأطفال

و بعد أن نضبت دموعها سمعت صوت خطوات من وراء الباب فنادت مستنجدة

وعند ذلك فتح الباب وظهرت منه عجوز شمطاء وحف لمنظرها قلب الفتاة فسألتها قائلة ماذا تريدين

قالت بر بك قولى لى أين أنا

فلم تجبها العجوز وأقفلت الباب ثم عادت اليها بعد هنيهة بالطعام فسألتها قائلة

ألا تعلمين يا خالتاه ما يريدونه من حبسى فى هذا المنزل

فلم تجبها بشىء وانصرفت بعد أن أقفلت الباب فكانت تأتيها بالطعام فى الأوقات المعينة دون أن تكلمها بحرف

ومضى على ذلك يومان وهى فى اسوأ حال مما تلقاه من هذا السجن الى أن سمعت فى اليوم الثالث وقع خطوات عند انتصاف الليل فذعرت وتكلفت الرقاد

ثم رأت أن الباب قد فتح وان رجلاً يدنو من سريرها فجلست مرعبة وقد عرفت الرجل على نور المصباح الذى يضىء فى غرفتها فقالت له

أنت . . . الموسيو ريدال . . . أهذا أنت

فأطرق برأسه اطراق المذنبين ولم يجب

قالت أهذا أنت . . . أنت الذى أنقذتنى مرة من الموت ثم تختطفنى وتسجننى . . . أهذا أنت

فلم يجب أيضًا فهاج ثائر غضبها وقالت له أخرج من هنا

قال أنك واهمة يا سيدتى فما أنا الذى أسأت اليك بل أنا الذى يتولى حمايتك وعسى أن يمتعنى الله بهذه الحماية مدى الحياة

ثم خرج وأقفل الباب

وقد لبثت حائرة لا تعلم معنى أقواله ولكنها حين صحت فى الصباح من رقادها وجدت أن ثيابها قد أبدلت بثياب غيرها

وذلك أن ريدال دخل الى غرفتها بغية ابدال هذه الثياب فوجدها صاحية فصبر ساعتين حتى وثق من رقادها فدخل الى غرفتها دخول اللصوص فأخذ ثيابها ووضع فى مكانها ثيابًا غيرها

أما الغرض من سرقة الثياب فهو أن يلبسوها جثة ابنة ريبو الغريقة كي يعلموا من تلك الملابس أنها ابنة المركيز

القسم الخامس

اخلاص الايطاليـــه

لم يدم هنربان غانيتا بقدر ما كانت تتوقع الكونتيس فانه انقطع فى اليوم الثالث وعادت اليها السكينة فلم تعد تتكلم فى رقادها

وقد أنست بما كانت تلقاه من رفق الكونتيس ورقتهـا فعادت اليها قواها البدنية بما كانت تجده من حسن العناية فكان ذلك مدعاة الى عود قواها العاقلة وأخذت تشهق بالبكاء إذ ذكرت مصيبتها ببنتها وما رأته فى معرض الجثث

فلما رفه عنها نظرت الى الكونتيس وقالت لها

لقد عرفتك يا سيدتى فأنت التى كنت فى معرض الجثث حين . . .

ثم غطت وجهها بغطاء فراشها كأنها تريد أن تحجب عن عينيها ذلك المنظر الرهيب

و بعد سكوت قصير عادت فسألت الكونتيس قائلة ماذا جرى لى وكيف اتفق وجودى هنا

فأخبرتها الكونتيس أنها أشفقت عليها وجاءت بها الى منزلها تعالجها فيه كي لا يذهبوا بها الى المستشفى ثم قالت لها انى علمت مقدار عذابك فان تلك المنكودة التى رأيتها فى المعرض انما هى بنتك أليس كذلك

فأجابتها قائلة

أن هذا الصليب الذى وجد يا سيدتى بين ملابسها إنما هو ذخيرة عائلية عندنا لا يمكن أن أضل عنه وقد عرفتها به وا أسفاه على أنه لو لم يكن لديها هذا الصليب لعرفتها من قوامها ومن لون شعرها ومن خفوق قلبى

والآن فأذنى لى يا سيدتى أن أسألك سؤالاً عن إبنتى

قالت تكلمى وسلى ما تشائين

فعادت الى البكاء وقالت لها

أريد أن أعلم ماذا صنعوا ببنتى وأين وضعوها

– أنهم وضعوها فى ضريح عظيم لا يخطر لك فى بال أنها تنام نومها الأخير فيه فأطمئنى

– أأنت التى فعلت ذلك من أجلها

– كلا وا أسفاه بل هى الصدفة ومتى تعافيت أذهب بك الى ضريح المركيز دى روكيرين

فارتعشت من انذهالها وقالت

المركيز سيد ريبو

– أنك تكثرين من ذكر ريبو فمن هو

– أنه زوجى

– زوجك

– نعم فهل تعرفينه

– أن الكونت يهتم به أحيانًا

– أتأذنين لى يا سيدتى أن أسألك من أنت فانى مدينة لك بجميل لا أنساه ما حييت ولكنى لا أعرف من أنت

– انى امرأة الكونت دى توريلى

فاصفر وجه الايطالية ولم تتمكن من اخفاء نفورها

وأيقنت الكونتيس مما رأته من نفورها أنهـا تكره الكونت أشد كره فسألتها قائلة

هل كان زوجى يعرف زوجك من عهد بعيد

– منذ عشرين عامًا يا سيدتى

– وأنت

– وأنا أعرفه أيضًا من ذلك العهد

– لا أعجب من تودد زوجى الى زوجك فانهما ايطاليان تربط بينهما الصلات الوطنية

– أما انا يا سيدتى فانى أكون ناكرة الجميل اذا . . .

ثم حبست لسانها وظهرت عليهـا علائم التردد فأدركت الكونتيس ما يجول فى ضميرها وقالت لها

قولى ما تشائين بملء الحرية فانى أكره زوجى

وقد كان هذا الاعتراف مؤيداً للصلات بين المرأتين ولا سيما بعد أن تقدمه اخلاص أكيد مدة أربعة أيام

وكانت الايطالية لا تزال ضعيفة فعاودها الاغماء وسقطت بين يدى صديقتها الجديدة

* * *

وقد كان لهذه الحادثة تأثير شديد عليها فلم يكن يخطر لها بعدها إلاَّ أن تزور الضريح الذى دفنت فيه بنتها وان تذهب بعد ذلك فتبحث عن زوجها ريبو إذ لا بد أن يكون قانطاً لاحتجاب امرأته وقد يقتله الحزن حين يعلم ما أصيبت به بنته

وكانت الكونتيس لا تزال مقيمة معها فجعلت غانيتا تسألها أسئلة كثيرة اشكل عليها ولا سيما دفن بنتها فى مدفن المركيز

وكرهت الكونتيس أن تفاجئها بقولها أن زوجك كان شريك زوجى ولكنها كانت تتلطف بأساليبها حتى اكرهت غانيتا على الاعتراف بأن زوجها كان آلة بيد الكونت من عهد بعيد ثم قالت لها بصوت يختنق بالدموع

انى أقسم لك ببنتى الميتة أن شريك زوجك سيكون بعد الآن من أعواننا فان ريبو لم يحب مدى حياته إلاَّ أنا وابنتى وقد جوزى على ذنوبه بعقاب رهيب لم يعرفه بعد وأتوقع أن يكون بعده من القانطين

ولكن موتى يكون لديه أشد هولاً من موت بنته وانى أقسم لك ياسيدتى أنه اذا لم ينفق حياته القادمة فى سبيل اصلاح ذنوبه السابقة قتلت نفسى أمام عينيه

قالت حسنًا وانى أريد أن يساعدنا فى إيجاد ابنة المركيز

قالت وهو سيساعدنا لا محالة

وقد جاءتها الكونتيس بملاس حداد وسارت واياها فى مركبتها الى مدفن عائلة المركيز

وفى ذلك الوقت نفسه كان روبرت دى لنتراك مع ريبو وذلك أنه حين أخبرته الكونتيس بما سمعته من الايطالية خلال هذيانها لم يعد يتمالك باشتراك ريبو مع الكونت فى اختطاف ابنة المركيز

وكان يتوهم خطأ أن ريبو عارف بالمكان المسجونة فيه خطيبته فكان يرجو أن يقف منه على الحقيقة بالوعيد أو بالوعود

وكان حين اجتماعه الأخير بالكونتيس وجد غانيتا فى حالة شديدة من الضعف يتعذر معها سؤالها عن عنوان ريبو فانها هى وحدها تعرف أين يقيم

وقد خطر له أن ريبو حين شهد بأن الجثة كانت جثة ابنة المركيز لا بد أن يكون سئل عن اسمه وعنوانه ليذكروه فى كتابة صك الوفاة

فذهب الى ادارة البوليس وعرف هناك عنوان ريبو فذهب الى حيث كان يقيم

ولكنه لم يجده وسأل عنه جارة له فأخبرته أنه خرج منذ ساعتين وانه لا بد أن يعود فانه يأتى الى منزله عشر مرات فى اليوم كى يعلم اذا كانت امرأته وبنته عادتا اليه

فأيقن روبرت بعد قول هذه الجارة أن غانيتا هى امرأة ريبو وحمل يسير ذهابًا وإيابًا فى ذلك الشارع بانتظار عودة ريبو

وبينما هو على ذلك رآه قادمًا وكان يعرفه حين كان فى خدمة المركيز وكان يسير مطرقًا لا يرى أحداً ولا يلوى على شىء فدنا منه روبرت ووضع يده على كتفه

فالتفت ريبو واصفر وجهه حين رأى روبرت ورفع قبعته احترامًا فقال له

ماذا تريد ياسيدى

قال انى أتيتك يا ريبو لأنقذك مما أنت فيــه فانك لا تعلم أين هى امرأتك فاتبعنى لأرشدك اليها

فاتقدت عيناه بارق من السرور وقال

أنت تعرف مكانها ؟ انى لا أعلم كيف أشكرك يا سيدى

قال لا يجب أن تشكرنى أنا بل أشكر التى وجدتها وهى فى شر حال أما الآن فانها قد نجت وهى ستخبرك بكل ما جرى لها

ويسرنى يا ريبو أن أكون السبب فى هنائك فانى لا أزال أذكر اخلاصك لصديقى المركيز

فارتعش ريبو ولكنه تجلد فقال

واأسفاه يا سيدى أن المركيز رحمه الله مات ميتة شنعاء ولم يقف نكد هذه الأسرة عند هــذا الحد فانك تحب ابنة المركيز ولا بد أن تكون

علمت بما أصابها فانى وان كنت وأسفاه أحد الشاهدين الذين . . .

فقاطعه روبرت قائلاً

لقد علمت . . . فانك شهدت بموت ابنـة المركيز أما أنا فأشهد أنها حية

فدهش ريبو دهشًا صادقًا بحيث أيقن روبرت أن شهادته كانت عن اعتقاد صحيح واعتم لذلك إذ خطر له أن ريبو غير عارف بالمكان الذى سجنت فيه خطيبته

أما ريبو فانه قال بعد أن تاب من دهشته

أهى فى قيد الحياة . . . انى لا أفهم ماذا جرى . فان ملابس الميتة وشعرها . . . لقد حسبت انى أشهد شهادة بسيطة حين انتدبنى الكونت لهذه الشهادة

لا تضطرب يا ريبو فسيكون اضطرابك شديداً حين تعلم الحادثة التى عرفنا منها أن ابنة المركيز لا تزال فى قيد الحياة

فرعب ريبو وقال له ماذا تعنى يا سيدى

قال سوف تعلم والآن فقد وصلنا فادخل معى الى هـذا المنزل فان امرأتك فيه

قال لقد فاتنى يا سيدى أن أسألك عن اسم تلك السيدة التى أنقذت امرأتى

قال أنها تدعى الكونتيس دى توريلى

فاضطرب ريبو وقال امرأة الكونت

ثم تبع روبرت ودخلا الى المنزل

***

لم تكن الكونتيس فى المنزل حين دخلا اليه فقد ذهبت مع غانيتا الى التربة فقال روبرت لريبو

أن امرأتك قد شفيت بدليل أنها تمكنت من الذهاب

وقبل أن يسأله ريبو عن سبب ذهابها دخلت الكونتيس مستعجلة وهى تقول

اسرعوا اسرعوا بالماء فان هذه المنكودة ستفقد صوابها أيضاً

ولكن الايطالية سقطت مغمياً عليها قبل أن يتمكن ريبو من إدراكها

فأمرت الكونتيس أن يحملوها الى السرير غير أن ريبو تولى عنهم هذه المهمة فحمل امرأته بين يديه وتبع الكونتيس وسار روبرت فى أثرهم حتى دخلوا الى الغرفة ووضع ريبو امرأته على السرير

وكانت أصابع ريبو قد خلفت أثراً فى ثوب زوجته فلما رأى روبرت هذا الأثر ارتعش ارتعاشاً عنيفاً فانه ذكر يوم قتل المركيز أنهُ رأى على ظهر جواد فى اصطبل القتيل أثر أصابع منغمسة بالدم وخيل له أنه رأى هذا الأثر نفسه فى ثوب غانيتا من أصابع زوجها فارتعش وأيقن أن ريبو قاتل المركيز

وقد أيد هذه الفكر وثوقه من اشتراكه مع الكونت فبعد أن عالجوا

غانيتا حتى استفاقت قال روبرت للكونتيس أرجوك أن تدعينا وحدنا هنيهة

فخرجت الكونتيس وهى لا تعلم قصده وعاد روبرت الى دى ريبو ففاجأه بقوله

ريبو . . : أنك شقى سفاك فأنت قاتل المركيز

فارتعد ريبو لهذه المفاجأة ونظر الى امرأته فرآها مطبقة العينين وتبين من لهجة روبرت أنه يقول قول الواثق فقال له

رحماك يا سيدى لا تقل شيئًا هنا فانها تسمعنا

غير أنه لم يكترث لتوسله وقال له

قل لى من الذى دفعك الى ارتكاب هذه الجريمة أما هو الكونت دى توريللى

فاشتد ارتعاده وقال له بصوت يتلجلج

إرحمنى يا سيدى بل ارحم هـذه المنكودة فانى سأكون معك على الكونت فقد حرى كل شىء بأمره

قال أنك لا تستطيع النجاة من الشنق فان لى على حنايتك كثيراً من البراهين إلا اذا . . .

فقاطعته غانيتا قائلة

وأنا أقسمت للكونتيس أنه يصلح ما أفسده بذنوبه وأنا لا أغفر له إلا بعد وفائه فان الله قد بدأ عقابه وان ابنتنا تصلى فى السماء من أجله

فجمد الدم فى عروق ريبو واصفر وجهه حتى بات كالأموات ونظر الى امرأته فقال

أبنتنا تصلى فى السماء

فاستوت جالسة فى السرير وقد توهجت عيناها بنار الغضب فنظرت اليه نظرة الناقم وقالت

نعم أن فرنسيسكا ماتت وأنت الذى قتلتها بآثامك وهذا عقاب الله فيك فانك مشيت فى جنازة بنتك وأنت تحسب أنك تشيع سواها . . . إذهب . هناك الى الضريح تجد مكتوبًا عليه

هنا دفنت لوسيانا دى كوربرين

أما لوسيانا هذه فانها فرنسيسكا . . . بنتك . . . وأما لوسيانا فانها فى قيد الحياة وستردها الى صديقتها وخطيبها أو تعدم شنقًا أيها النذل

وقد سقط رأسها على الوسادة وركع ريبو أمامها وحاول أن يأخذ يدها فجذبتها منه نافرة

وقال له روبرت

انى قد أغفر لك أيها التعس فانهض واثبت لى ندامتك وتوبتك

قال ماذا تريد أن أفعل . انى مستعد لأخبارك بكل ما أعلمه فما عليك إلا أن تسألنى

وقد اعترف بجميع ما اقترفه وأقر بقتله المركيز وباختطافه لوسيانا وأنه لا يعلم أين وضعها الكونت وأنه شهد أن الغريقة لوسيانا بعد أن أقنعه أنه يقول الحقيقة وأن الكونت هو الذى دفعه الى كل ما حدث

وعلى الجملة فقد اعترف بكل شىء ما خلا الوصية فقد أنكر أمرها كى يجعلها طريقه الى النجاة

ولما خلا بزوجته جعل يبكى بكاءً أليماً وقد وعدها أنه لا يرتكب بعد ذلك ذنباً واعترف لها بالوصية وأخبرها أين هى مخبوئة

فأجابته قائلة أنك لا تكون فى مأمن من العقاب إلاَّ اذا برهنت لروبرت والكونتيس عن اخلاصك فقد أقسمت أن أبرهن لهما عن وفائى بغير الكلام

– ماذا تريدين أن تصنعى

– أريد أن أجد ابنة المركيز

– بأية طريقة

– لا أستطيع أن أقول لك الآن فهل أنت عازم على طاعتى

– سأكون أطوع لك من يدك

– اذن فاسمع ما أريده منك

انى أريد أن تغيب عن باريس شهراً أو شهرين حسب الاقتضاء فلا يعلم أحد سواى أين أنت ولا ترى الكونت على الاطلاق

واذا اتفق لك أنك عرفت مكان ابنة المركيز لا تأت الى ولا تبحث عنى بل اذهب الى روبرت دى لنتراك وأخبره بما علمته

وأخيراً اذا عهدت اليك بمهمة حين أحتاج الى أن أراك لا تتردد لحظة فى قضائها ولو رأيت الموت ماثلاً بين عينيك

هذا الذى أريده منك ولا أبقى امرأتك إلاّ بهذه الشروط

قال أقبل

قالت وستبرح هذا المنزل غداً وتذهب الى روبرت دى لنتراك فتخبره بعنوان محل اقامتك الجديد واذا احتجت اليك سألته عنك

* * *

لم يكن روبرت مخطئاً بعدم تسليم ريبو الى البوليس فانه اذا أنكر الجناية هناك لا يستطيع روبرت اثباتها عليه فيخرج من السجن و يصبح عليه بدلاً من أن يكون له وكذلك غانيتا فانها لا يسرها أن يحكموا على زوجها بالاعدام

أما غانيتا فانها لقيت روبرت وقالت له

انى قادمة لأطلعك على الخطة التى وضعتها لنفسى فان نجاحها موكول الى كتمانها ولكن لأخبرك بخاطر عنّ لى

قال انى مصغ اليك

قالت انى كنت ذاهبة منذ اسبوعين الى الريف للبحث عن بنتى المنكودة فوجدت الكونت دى توريلى عائداً الى باريس بقطار الصباح ولما عدت فى ذلك اليوم نفسه وجـدت الكونت أيضاً مسافراً الى الريف فى قطار المساء

قال ماذا استنتجت من ذلك

قالت استنتجت أن له أشغالاً خاصة فى الريف وأنه يبيت أحياناً فيه وعندى أنه لا بأس أن تبدأ أبحاثك من هذه الجهة فتعين من يقتفى أثره كى تعلم الى أين يذهب وأى شأن له هناك

قال سأفعل

قالت ويجب الآن لنجاح خطتى أن لا أسا كن زوجى وأن لا أقيم عند الكونتيس كما أنه لا يجب أن يهتدى الكونت الى أثر ريبو وأن لا يعلم انى أعرفك بل انى لا أريد أن يعلم زوجى أين أنا ولذلك يجب أن أقيم فى مكان لا يعرفه أحد سواك

قال ذلك سهل

- ولكن ليس لى مال

- اطمئنى فسيكون لك غداً منزل تقيمين فيه

فابتسمت ابتسامة الوثوق من نجاح خطتها السرية وقالت

و بعد ذلك أغيب عنك بضعة أيام ثم ترد اليك أنبائى

* * *

عند ما كتب صك وفاة ابنة المركيز ذهب الكونت دى توريلى الى منزل أخيه كى يأمر وينهى فيه اذ أصبح الوريث الوحيد بعد وفاة ابنة أخيه

وقد وضع هناك قاضى التحقيق بعض الأختام على موجودات المنزل فدهش وسأله قائلاً

من الذى أرسلك

قال انى قادم من قبل النيابة

- لماذا تضع الأختام

ذلك لا بد منه لأنك لم تكن مقيماً فى المنزل ويجب معرفة كل ما هو موجود فيه

– أية فائدة من ذلك وأنا الوريث الوحيد

– لاريب فى ذلك عندنا ولكن لا بدلنا من الصبر الى أن يثبت لنا أن وفاة ابنة المركيز لم تكن جناية

– لقد أصبت ولكنى كنت خائفًا أن أعامل معاملة غير عادية لأنى أجنبى

وإنما قال هذا القول اخفاء لاضطرابه من ذكر الجناية ومجرى التحقيق فانه كان يعلم يقينًا أن الأجانب يرثون فى فرنسا كما يرث الفرنساويون

وقد عاد الى منزله وهو فى أشد حالات الاضطراب فقد كان بلغ عسره المالى أشده وبينما هو يرجو أن يظفر بالملايين ويبرح فرنسا اذا بالنيابة تتدخل وتوقف الارث الى أن يتم هذا التحقيق الذى لم يكن يخطر له فى بال

***

ولنعد الآن الى جاك ريدال فانه بعد أن عاد من لندرا دعاه اليه قاضى التحقيق وسأله أسئلة مختلفة نقتطف منها ما يأتى

فقد سأله القاضى قائلاً

أتعترف أنك أنت الذى أرسلت الى النائب العام تلك الرسالة البرقية من لندرا بشأن ابنة المركيز دى روكيرين

قال نعم

- أتعترف أنها سافرت معك بكل رضاها

- دون شك فانها راشدة

- الى أين سافرتما

- الى ايطاليا وسويسرا وبلجيكا ولندرا

- أتعترف أنك أنت الذى أخبرتنا باختفاء ابنة المركيز

- نعم

- لكنك قلت فى كتابك أنهـا تركتك على أثر عارض أصابها الا تذكر السبب الذى تركتك من أجله

- كلا يا سيدى ولكن خيل لى ليلة اختفائها أنها مصابة بما يشبه الجنون

- ولكن خدم الفندق الذى كنتما فيه يقولون أنكما كنتما تتخاصمان فى غرفتكما وأنهم كانوا يسمعون أصوات الخصام

- الحق انى لم أكن واياها على اتفاق دائم

- العلك ضربتها

- معاذ الله يا سيدى فان أمثالنا لا يضربون النساء

- انما سألتك هذا السؤال لأنه وجد على جسمها آثار رضوض

- لا أعلم من أين جاءتها هذه الرضوض

- والآن بقى لى سؤال أسألك اياه بصفتى قاضى تحقيق

- سل يا سيدى ما تشاء

- اكنت تعتبرها خطيبتك أم . . .

فقاطعه قائلاً

انى أشهد الله يا سيدى على صدق فيما أقول فقد كنت أعدها خطيبتى واحترمها احترام خطيبة ستصبح زوجة

فاطرق القاضى برأسه وقال

لا شك عندى بجوابك ولكنه مخالف لتقرير الأطباء وقد عرقل جوابك هذا سير التحقيق

فاصفر وجه ريدال ولكنه لم يعد يستطيع الرجوع فى ما قاله

فقال له القاضى

أما أنك لم تقل الحقيقة ياموسيو ريدال وأما أن هذه الجثة لم تكن جثة ابنة المركيز واذا صح ذلك كانت الحادثة جناية فقد وجدت الجثة بملابس ابنة المركيز

وهنا انتهى التحقيق فسار ريدال مضطربًا الى الكونت وأخبره بكل ما كان فشتم شتمًا قبيحًا ثم عادت اليه سكينته

فقال

انك أسأت اساءة لا تغتفر بهـذا الاقرار ولكنى أرجو أن يعدك القاضى من الكاذبين

- اذ كان ذلك فقد هان الأمر

– هذا الذى أرجوه فان القاضى سيواصل سير التحقيق دون أن يظفر بالحقيقة ثم انه سيكون متراخياً بتحقيقه لاعتقاده أنك كذبت فى ما قلته من احترام خطيبتك فان الأشراف لا يعترفون بهذه الأمور

– وماذا نعمل فى انتظار انتهاء التحقيق

– أبقى أنا فى باريس وأنت فى حيفيزى

– وأين نجد المال فاننا لا نملك شيئاً

– اطمئن فسأجد من يسلفنى ما أشاء بعد أن عرف الناس انى وريث المركيز الوحيد

– الوحيد

– أى أنا وانت فاذهب الآن الى جيفيزى ولا تدع أحداً يعلم أين أنت

***

بعد اجتماع غانيتا بروبرت ذهب فبحث لها عن مكان تقيم فيه فوجد منزلاً فى شارع مقفر فأقامها فيه

وفى تلك الليلة ذهب ريبو أيضاً الى روبرت عملاً بوصية امرأته وأخبره بعنوان المنزل الجديد الذى اتخذه فاخبر به الكونتيس فكان الاثنان ينفران منه كل النفور ومع ذلك فقد كانا راضيين من مساعدته اياهما فى البحث عن ابنة المركيز

اما غانيتا فقد أقامت وحدها فى ذلك المنزل وقد راعتها الوحدة وخيل لها أن زوجها غائب غياب بنتها

ولكنها ارتعشت فجاءة وقالت فى نفسها

ان الوقت لا يزال متسعاً لانقاذه واصلاح أهل الشر هو كل الخير ثم انى اذا تمكنت من رد ابنة المركيز الى خطيبها فقد يغفر الله لربيو أو يصفح عنه روبرت اكراماً لى

وقد حانت منها التفاتة الى المرآة ورأت ملابسها السوداء فقالت ان هذه الملابس تضر بمشروعى إذ لا يجب أن يعرف الكونت بأن ابنتى ماتت

وقد خلعت ملاس الحداد ولبثت ثوبها القديم ثم وقفت امام المرآة فابتسمت ابتسام المنتصر إذ رأت انها لا تزال جميلة . نعم انها ليس لها نضارة بنت العشرين ولكن لها جمالاً أشد نفاذاً الى القلوب من جمال الصبا

و بعد ذلك خرجت من المنزل وذهبت تواً الى منزل الكونت دى تور يلى

وهناك لقيت الخادم وسألته عن الكونت فقال لها من قبل من أنت آتية

قالت من قبل نفسى

قال من أنت

– امرأة ايطالية تريد أن تراه

– تفضلى بالدخول الى قاعة الانتظار الى أن أخبر سيدى الكونت

فدخلت وهى تمشى مشية المرتعد إذ خيل لها انها تسير على الدماء فانها كانت تحتقر هذا الكونت وتكرهه

غير انها لم يكن لها بد من الصبر والاندفاع فى سبيل قصدها كي تتمكن من انقاذ زوجها فدخلت الى القاعة ويدها فى جيبها تداعب خنجراً كأنها كانت تخشى شراً من اجتماعها بالكونت

وطال غياب الكونت فجلست الايطالية على كرسى بجانب منضدة كان عليها كتب وأوراق

وقد استلفت نظرها رسالة خارجة من غلافها فان توقيع مرسلها كان مكتوباً بحروف كبيرة فقرأته فاذا هو توقيع جاك ريدال فأرادت أن تسرق هذه الرسالة ولكنها لم تجسر مع كل اضطرارها اليها فانها كانت تعلم يقيناً ان جاك ريدال شريك الكونت فى اختطاف ابنة المركيز

غير انها نظرت الى الغلاف الذى كان بجانب الرسالة وعليه ختم البوستة الدال على البلد الذى صدرت منه الرسالة فقرأت كلمة بيفيزى وقالت فى نفسها

اننى لم أضع وقتى فى هذا اليوم عبثاً فقد علمت الآن ان جاك ريدال يكاتب الكونت من بفيزى وهذه المدينة واقعة فى طريق أورليان اذن لقد كان الكونت ذاهباً اليها حين رأيته فى المحطة

وكأنها خشيت ان يعلم الكونت بما اكتشفته فغيرت مجلسها وابتعدت عن المنضدة

وبعد هنيهة دخل الكونت وقال لها

أأنت هنا يا غانيتا

فاطرقت بعينيها وتنهدت تنهداً عميقًا ولم تجب

فقال لها اجلسى فانت تعلمين انى لا أحب أن تكون بيننا كلفة

قالت بل أعلم انك طاهر النية شريف القلب ولذلك أتيت وأنا خجلة لطمعى أيضًا بكرمك بعد أن طوقت عنق بجميلك •

ـ ماذا حدث لك . اخبرينى فانى أرى عليك ملامح الحزن

– لقد حدث شر ما يمكن حدوثه وانت تعلم يا سيدى الكونت انى كنت أحب زوجى .

فأجابها بلهجة المتهكم قائلاً

نعم نعم فانه يستحق منك هذا الحب

قالت لقد كنت أحسب انى استطيع اصلاح فاسده فيصبح جديراً بى ولكنى وجدت انه شقى لا يمكن اصلاحه وارشاده الى سبيل الخير فما خلق ليكون من أهل الصلاح

– وأخيراً

– وأخيراً انى بت اكرهه بقدر ما كنت أحبه

– لا شك انه اقدم على أمر هائل

– نعم أتدرى ماذا فعل أيها الكونت . انه هو الذى قتل المركيز أخاك وأنت الذى أدخلته فى خدمته . نعم انه هو الذى قتله وقد اعترف لى بالجناية

فقال الكونت تبًا له من أبله

ثم انتبه الى ما بدر منه فقال

ويل له من أبله شقى سفاك

فقالت ولم يبق لها شك باشتراك الكونت مع زوجها

وانى حين وقفت على جريمته الهائلة طردته أقبح طرد ثم هجرت منزلى كي لا يعود الى ويرانى فيه

قال يجب أن تنسيه أيتها العزيزة وان تتعزى بوجود بنتك

فلم يسع المنكودة الا أن تشهق بالبكاء حين سمعت ذكر بنتها فقال لها وقد تأثر لبكائها

لماذا تبكين يا غانيتا

قالت انما أبكى لأنى لم أقل لك كل الحقيقة فانى أبحث عن بنتى منذ شهر دون أن أحدها فقد برحت بلوى واأسفاه

وكان الكونت يحب غانيتا من عهد بعيد وقد خطر له خاطر حين رآها عنده ولكنه لم يجسر على مكاشفتها به بعد ما سمعه من قولها ورآه من حزنها فقال لها

وارحمتاه لك أتعيشين وحدك الآن

– نعم وأى عيش هذا فان الموت يفضله

– ومع ذلك فانك تسرعت بتصديق ريبو فان الرجل الذى يعترف لامرأته بمثل هذه الجريمة لا يكون فرق بينه وبين المجانين فانه قد اتهم نفسه بهذه التهمة الملفقة لغرض خفى أو لأنه ذهب صوابه

و بعـد فانك أنت لو لم يكن الاضطراب قد بلغ منك أشد مبالغة أكنت تدفعين الىّ قاتل أخى الذى أبحث عنه فى الليل والنهار وهذا القاتل هو زوجك . أن كل ذلك لا ينطبق على أحكام العقل

قالت نعم وانى ما أتيت اليك إلاّ لألتمس اشفاقك عليه وان كنت أكرهه فقد أصبحت لا زوج لى ولا ولد

– أتحسبين انى أتردد هنيهة بتسليم هذا الشقى الى الجلاد

– أنه هرب يا سيدى الكونت وهو من الذين يعرفون أن يختبأوا والآن لم يبق بد من أن أقول كل شىء فان ريبو يعترف لى بالجريمة ولكنى عرفت

– كيف عرفت

– لأن البوليس كبس منزلنا ليقبض عليه

فاصفر وجه الكونت وقال لها

لو كان ذلك لوجب على قاضى التحقيق أن يخبرنى لأنى أنا وريث المركيز الوحيد

– لم أكن أعلم شيئًا من ذلك ولكن قبل حضور رجال البوليس جاءنى رجل عليه ملامح النبلاء وسألنى قائلاً

أهنا يقيم ريبو الذى كان فى خدمة المركيز دى روكيرين

قلت نعم

قال أخبريه حين يعود أن روبرت دى لنتراك صديق سيده المركيز يريد أن يراه

فلم يخامرنى شيء من الريب وبعد انصرافه جاء ريبو فلما أخبرته ذعر ذعراً شديداً وأركن الى الفرار

وبعد ربع ساعة أقبل رجال البوليس فعلمت منهم أن زوجى متهم بقتل المركيز

فوقف الكونت وقال

أرى أن روبرت دى لنتراك كان مخطئاً وسوف أبحث فى هذا الشأن أما أنت فما عساك أن تصنعى وأنت وحدك فى باريس

قالت لا أعلم يا سيدى الكونت

فنظر اليها نظرة تبين منها كل حبه وقال لها

انى لا أريد إلا أن تكونى سعيدة أيتها الحبيبة

قالت لا ريب عندى أنه اذا أمكن أن أكون سعيدة فلا يسعدنى غير سيدى الكونت

ثم نظرت اليه نظرة نفذت الى أعماق قلبه وافلتت افلات الظبى فتوارت عن الانظار

القسم السادس

العقـــاب

كان ارتياح الكونت عظيماً الى فرار ريبو فانه لو قبضوا عليه لكان الخطر شديداً

نعم أنه لم يكن لديه برهان حلي على أن الكونت شريكه فى الجريمة ولكنه اذا أقر بها واعترف بأن الكونت دفعه الى ارتكابها اختلف مجرى التحقيق ولا سيما أنه قد تمكن الريب من النيابة بوفاة ابنة المركيز بعد ما تقدم لنا بيانه من تحقيقها مع جاك ريدال

وكانت غانيتا قد وعدته بالعودة اليه فى الغد فكان يرجو أن يقف منها على أمور جلية

وفوق ذلك فقد كان يحبها حباً شديداً وقد كان يأس منها لشدة تعلقها بزوجها وأيقن أنه لولا فقرها المدقع لما تدانت فى باريس الى أن تسأله حماية زوجها ولكن اشفاقها على بنتها يومئذ أنزلها عن عرش كبريائها

أما اليوم فانها جاءته وألقت مستقبلها بين يديه فكان سروره عظيماً فان النعجة ستأتى من نفسها الى الذئب وما عليه إلا أن ينتظر

وكان قد خطر له أن يعرض عليها ثروة وان يدعها تنفق عن سعة فى سبيل ملابسها وتزيينها فتصبح أجمل من حسان الباريسيات

وفى اليوم التالى جاءت اليه وعرض عليها مقترحاته فاضطربت واحمر وجهها ورفضت بضعف ظاهر

ولكنه ما زال بها وهى تتكلف الرفض والاستحياء حتى أقنعها فقالت له سأفعل كل ما تريده ياسيدى الكونت

فأرشدها الى الخياطة التى كانت تخيط ملابس زوجته وقال لها

أرجو أن تزورينى غالباً وان تقبلى ما أعطيك إياه ثم دفع اليها كيساً محشواً بالدنانير فأخذته دون اعتراض وهى فرحة لفوزها السريع بالدور الذى تمثله

وقد ودعته وهى تبسم له الطف ابتسام وعادت الى منزلها

وفى تلك الليلة زارها روبرت وقال لها

ان قلقى شديد وقد أتيت لاعلم ما وراءك من الأخبار فهل حدث شىء جديد

قالت نعم

– أما أنا فقد لقيت الكونت أمس داهباً فى جهة محطة أورليان ولكن حال بينى وبينه ازدحام المركبات فلم أعلم اذا كان ركب القطار

– أما أنا فقد عرفت اكثر من ذلك

– ماذا عرفت

– عرفت أين يقيم جاك ريدال

– أين

– فى جيفرزى

– اذن أن الكونت دهب اليه فان هذه البلدة فى طريق أورليان

– هدا لا ريب فيه والآن فلا بد أن تعين رقيباً فى تلك المدينة فيقفو أثر الكونت حين وصوله اليها و يعرف البيت الذى يذهب فيه

– سأفعل دون شك

ثم ودعها وانصرف وهو واثق منها كل الثقة

* * *

وتأنقت غانيتا بملابسها ولبست خير ما تلبسه الباريسيات فبانت فتنة النواظر

ثم ذهبت الى الكونت فلما رآها بهت لجمالها وقال

الحق أنك لو أردت للقبوك ملكة الجمال

قالت أشكرك لهذا الثناء ايها الكونت و يسرنى أن أجمل فى عينيك وأنت الذى اعتنى على التجمل

قال بالله يا غانيتا لا تذكرى هذه الأمور التافهة

– انها أمور تافهة فى عرفك وأما أنا فاعتبرها من الأمور الجسيمة لأنى أستطيع الآن وأنا بهذا الزى أن أشتغل فى أي مخزن شئته فأكسب رزقى

– ألست من أهل المطامع يا غانيتا

– وأية فائدة لى منها فانها تجعلنى من أهل الخيال ولا أعود أرضى بحال

– ألم يخطر لك أن تكونى غنية على ما أنت فيه من الجمال وتصبحين شمساً تكسف جميع أقمار باريس

– كلا أيها الكونت

فأخذ يديها بين يديه وقال لها

ولكن اذا وجد من يطرح عند قدميك هذه الثروة ويجعلك من أسعد النساء فما تقولين

فتكلفت انها لم تفهم مراده وقالت له

أقول انه يكون من المجانين

– هو ذاك ولكنه يكون مجنون غرام

وسكت الاثنان ثم قال لها ببطء

واذا كان هذا المجنون أنا يا غانيتا

فتراجعت وهى تغطى وجهها بيديها وقالت

أنت . . أنت

قال نعم أنا هو فهل أسأت اليك بهذا الاعتراف

فعادت الى مجلسها وقالت له

بل انى أشفق عليك أيها الكونت العزيز لأنى مدينة لك بالامتنان فلا بد لى من اصلاح خطلك لأنى اذا أردت قبول هذه الثروة التى تعرضها على أستطيع أن أناالها بحق أى دون مقابل

فذهل الكونت انذهالاً شديداً مما سمعه ولم يفهم معنى كلامها وقال لها

ان ثروتى هى لك بجملتها وأنت تعرفين ذلك حق العرفان لمـا لك من السيادة على قلبى أليس هذا الذى تعنينه

– كلا فانك فقير لا تملك شروى نقير وأين لك ثروة فتهبنى اياها

– أفاتك انى وريث أخي الوحيد وانه يملك كثيراً من الملايين

– هل كتبت ابنة أخيك وصية جعلتك وريثها

– كلا انها لم تكتب وصية ولذلك لا أخاف أن ينازعنى أحد على ملايين أخى

– بل انك واهم يا سيدى الكونت

فوقف الكونت مضطربًا وقال لها

ماذا تقولين . . ماذا تقولين

– أقول ان ابنة المركيز كتبت وصية

– وصية . . أأنت واثقة مما تقولين

– كل الثقة

– أين هى هذه الوصية

– هذا أمر يعنينى

– غانيتا قولى أين هذه الوصية وغدا تمشين على أرض حصباؤها من الذهب .

– أنك ترى أيها الكونت انى أستطيع الحصول على ثروة من سبيل شريف لم يكن يخطر فى بالك

فلبث الكونت ينظر اليها نظرة الفاحص فقالت له ألعلك شككت بكلامى أيها الكونت

قال أنه قول بعيد الاحتمال فهل رأيت هذه الوصية

كلا ولكنى أعرف ما تضمنته فان ابنة أخيك جعلت دى لنتراك وريثها الوحيد

– من أنبأك بذلك

– ريبو

– وهو كيف علم بوجود هذه الوصية

– لا أدرى فان ذلك من شأنه وكل ما أستطيع أن أقوله لك أنه لا يوجد أحد يعرف مكان هذه الوصية إلا أنا وريبو

– إذن

– إذن انى لو لم أكن صديقتك لمنعتك عن أن تقبض درهما من هذه التركة ولكنى . . . صديقتك

– أتخبرينني بمكانها

– بشرط أن أنال حصتى من المال فان من لا يستفيد من مثل هذا السر يكون من البلهاء

– أنك ستنالين كل ما تريدين ولا أأسف إلا على أمر واحد وهو أنك ستنالين بالاكراه ما كنت عازمًا على أن أقدمه لك بالرضى لما تعلمينه من عطفى عليك

– إذن لتصافح يدك يدى وأعلم أن الذى دفعنى الى أن أبوح لك بهذا السر إنما هو العطف لا الفائدة إذ لو كنت أريد الفائدة المجردة لذهبت الى روبرت دى لنتراك فأطلعته على هـذا السر واقترحت عليه شروطى

فخدع الكونت بكلامها فان الحب أعمى بصيرته وقال لها أأنت تعطفين علىّ يا غانيتا

فنظرت اليه نظرة المؤنب وكانت بينهما ساعة نسى فيهـا أمر الوصية فقد فتنته بألفاظها الحنونة وألحاظها الساحرة ولم يدعها تنصرف الا بعد أن وعدته أن تزوره فى كل يوم

وعند انصرافها عاد الى الوصية فقال لها

ألا تحضرين الىّ هذه الوصية فامزقها

قالت لم يحن الوقت بعد . . . الى اللقاء أيها الكونت العزيز

كان جاك ريدال قد أخبر قاضى التحقيق بعنوانه عند انصرافه من عنده ولكن هـذا العنوان الذى أخبره به انما كان عنوانه فى باريس لا جيفرزى فكان الكونت يذهب الى منزله كل يوم فيأخذ ما يرد اليه من الرسائل منه ويذهب بها اليه

وكان جاك ملازماً المنزل الذى سجنت فيـه ابنة المركيز فلم يكن راضياً عن هذا الدور الذى دعاه الكونت الى تمثيله لاعتقاده أن زمن تحقيقه يطول

وذلك أن صك وفاة ابنة المركيز كان قد كتب منذ أسبوعين وهو لم يقبض من الكونت بعد دفعة على الحساب

ثم أن اللهجة التى كلمه بها قاضى التحقيق جعله يرتاب فى مصير الأمور وخشى أن يكون من المتهمين

وفوق ذلك فقد كان يلقى صعوبة عظيمة باقناع لوسيانا أنه لا يد له فى اختطافها وسجنها وأن الذى سجنها انما هو عمها الكونت ولكنها أجابته قائلة

أنك ما رلت هنا فأنت شريكه واذا كنت لا تستطيع اذاعة أمره فما أنت إلاّ ندل جبان

وكان مع ذلك يدخل الى غرفتها فى أكثر الأحيان فيخرج من عندها مدحوراً مهانًا وعيناه تتوهجان بالغضب والوعيد حتى اضطرت المنكودة الى أن تتسلح بسكين من سكاكين المائدة للدفاع عن نفسها

وقد دخل اليها يومًا فاستقبلته بملء الاحتقار وقالت له

لماذا أتيت الىّ

قال لأنى لا أريد أن أفارقك أبداً يا سيدتى

– أتريد أن تحبسنى هنا مدى حياتى

– نعم فقد أصبحت ميتة فى عيون الناس

فتراجعت منذعرة وقد ملأ الرعب قلبها إذ حسبته مجنونًا فنظر اليها نظرة تشف عن الحب والاخلاص وقال لها

ماذا تريدين أن أصنع يا سيدتى فقد مت فى عيون الناس كما قلت لك

وأصبح عمك وريثك الوحيد بحيث لم يبق غير وسيلة واحدة لانقاذك من هذا الموقف

- ما هى

- هى أن تتزوجى بى . . . برضاك

- أأنا أتزوج بك وأنت أعظم شراً من عمى ولماذا تريد اكراهى على الزواج بك ألتقتسم أموالى مع عمى

- كلا بل لأنى أحبك

- أنك لو كنت تحبنى لقلت لى هلمى نهرب فانى لا أبالى بثروتك مع أنك . . .

فقاطعها قائلاً

انى اذا اقترحت عليك هذا الاقتراح يا سيدتي خسرتك وخسرت أنت ثروتك فانك اذا هربت لم تعد ثروتك لك

- ولكن اذا أنقدتنى

أواه يا سيدتى انى اذا أنقذتك خسرت خسارة لا تعادلها حياتى لانك تتزوجين دى لتراك وانى أوثر أن أسجنك الى الأبد بل أوثر موتك على أن أراك زوجة سواى

- لماذا لم تقتلنى فأرحتنى

- لانك اذا قدر لك الموت قتلت نفسى

و بمثل هذه العواطف كان يرجو جاك أن يتغلب على قلب الصبية تباعاً

***

وفى ذلك اليوم نفسه جاءه الكونت وهو متأثر من أقوال غانيتا فقال له

لقد خدعتنا يا جاك فان ريبو كان يعلم أن ابنة أخى كتبت وصيتها ولم تخبرنا بذلك

فحسب جاك أن الكونت يريد خديعته كى يحرمه نصيبه من التركة فقال له بلهجة المتهكم

وقد حرمتك فى هذه الوصية من الأرث أليس كذلك

قال نعم بحيث أصبح اختطاف لوسيانا لا فائدة منه فانى لا أرث منها ولو ماتت

– إذن نحن الآن رهن إرادة ريبو

– هو ذاك

– ولكن اذا جعلنا له حصة

– لا يتكلم

– لماذا

لأن أعداءنا عرفوا بجنايته فاكرهوه على الكتمان

– اعلِموا أنه قاتل المركيز

– نعم وان الذى علم إنما هو خطيب لوسيانا أما ريبو فانه جعل هذه الوصية عدته للنجاة بعد أن عرف روبرت بجنايته وقد أراد روبرت

الوشاية به فاتفق واياه على أن يرشده الى الوصية مقابل كتمان أمره والعفو عنه

– لماذا لم يخطر له هذا الخاطر من قبل

– لأنه شديد الخبث فقد كان يرحو أن يربح منا فى البدء فلما رأى أن سر حنايته قد افتضح رأى أن يبيع سر الوصية من رو برت كى يأمن العقاب ولا شك أن رو برت سينقذه فانه الوريث الوحيد والتركة تبلغ سبعة ملايين فرنك

فهدد جاك السماء بقبضتيه وقال إذن لقد فقدنا كل شىء وأية فائدة بقيت لنا من سجن الأسيرة

– أن حديثها انذار لنا وقتلها جريمة لا فائدة منها

– من أين علمت هذه الأمور

– من امرأة ريبو

– أأنت واثق من هذه المرأة

– نعم وهى تستطيع انقاذنا اذا أرادت فانى اتفقت معها على أن نجعل لها حصة من التركة

– ألعلها تعلم أين توجد الوصية

– نعم

– اذا كانت توافق على احضارها الينا فقد نجونا

– انى لا أطمئن إلا اذا ظفرت يدى بالوصية ومزقتها فان ريبو

قد تمكن منه الذعر فهرب ولكنه اذا خطر له أن يأتى الى روبرت قضى على آمالنا

– هذا لا ريب فيه ولا بد لنا من ايجاد الوصية قبل أن ينالها سوانا فكيف عولت على أن تنهج مع امرأته

– بشكل بسيط جلى فقد أصبحت شريكة لنا

– حسناً فأسرع الى نيل هذه الوصية منها أو . . .

– أو ماذا

– أو تكون جناية بجناية وجنون بجنون كى لا يقال أنى اشتغلت عبثاً

– ماذا تعنى

– أعنى انى اذا فشلت بنيل المال فلا أفشل بنيل الصبية

– أيها الشقى ألعلك تحبها حقيقة

– نعم أحبها وسأنالها

– من يعلم ما يكون اذا قدر لنا أن نيأس

– فلم يجبه جاك وذهب الى الغرفة التى كانت لوسيانا فيها

***

لم يكن فى هذا المنزل غير خادم وخادمة

أما الخادمة فكانت خرساء صماء

وأما الخادم فقد كان كاباريت ذلك النوتى الذى انتشل جثة ابنة ريبو وساعد على اختطاف لوسيانا

وكانت مهمته فى الخدمة أن لا يدع أحداً يدخل الى المنزل ما خلا الكونت وجاك وأن يأتى بحاجات البيت

وقد اتفق يوماً أن الكونت وجاك كانا فى باريس فخطر لكاباريت أن يشرب كأساً من الخمر فى خمارة قريبة فخرج من المنزل وترك باب الحديقة مغلقاً فالتقى قرب المنزل بمتسول سأله الاحسان فتصدق عليه دون أن يكترث له

بعد هنيهة التفت المتسول فرأى أن كاباريت قد توارى عن الأنظار فمشى الى باب الحديقة وأخرج آلة من حيبه يحاول فتحه بها لكنه لم يحتج اليها فان الباب لم يكن مقفلا فدخل وجعل يطوف فى الحديقة حوالى المنزل وينظر الى نوافذه

وما زال على ذلك الى أن وصل الى تحت نافذة الغرفة التى كانت لوسيانا فيها ورآها واقفة وراء تلك النافذة وقد ألصقت وجهها بالزجاج

فارتعش لمرآها وأشار لها اشارة تدل على التعارف ثم انتزع شعر لحيته المستعار ورأى من اندهاشها أنها عرفته فرد لحيته وأشار لها اشارة مفادها أصبرى فقد عرفنا أين أنت وأن انقاذك قريب ثم انصرف مسرعاً

أما هذا المتسول المتنكر فقد كان ريبو

وقد اتفق حين خروجه من الحديقة أن كاباريت كان داخل اليها فقال له

ما شأنك هنا ولماذا دخلت الى المنزل

قال كنت أرجو أن أنال قطعة من الخبز لاعتقادى أن المنزل مأهول فلم أجد فيه أحداً

– من الذى فتح لك باب الحديقة

– لقد وجدته مفتوحاً

– اذهب واعلم أنك اذا عدت الى هنا كسرت أضلاعك

وعند المساء كان ريبو فى باريس فذهب الى الكونتيس فقال لها لقد وجدتها فهى فى قيد الحياة

فكادت الكونتيس تصافحه لشدة سرورها وقالت يجب أن نسرع باخبار روبرت وغانيتا ثم ذهبت واياه الى منزل روبرت

* * *

وقد كان السبب فى اهتداء ريبو الى ابنة المركيز بسيطاً فان روبرت حين علم أن جاك ريدال مقيم فى حيفرزى وأن الكونت يذهب اليها أرسل ريبو الى جيفرزى كى يراقب الكونت حين يصل الى محطتها ويقفو أثره كى يعرف المنزل الذى يذهب اليه

وقد تنكر بشكل متسول وتبع الكونت فعرف المنزل ثم اغتنم فرصة خروجه مع ريدال وأعانته الصدفة بخروج كاباريت أيضاً فدخل الى الحديقة وتمكن من مشاهدة ابنة المركيز كما تقدم

أما روبرت فانه حين علم من الكونتيس بما كان كاد يجن من فرحه فأسرع الى غانيتا وأخبرها أيضاً بتلك اللقيا فكان سرورها معادلاً لسروره وقالت له

لم يبق لنا إلاّ أن نجد وسيلة نتمكن بها من الدخول الى هذا المنزل

قال أن الأمر بسيط فاننا نستعين بالبوليس

قالت اصغ الى يا سيدى فان البوليس لا يعيننا على الانتقام وأنا إيطالية مفطورة على حب الانتقام وأحب أن أنتقم من هذا الكونت الذى سمم حياتى فان زوجى لولاه لم يكن من أهل الآثام ثم انى أرجو أن يتمكن ريبو من الفرار حين ترد اليك ابنة المركيز فتفضل بمنحى هذه المنحة

قال ولكن لوسيانا تتعذب فى خلال ذلك

– كلا فقد أشار اليها ريبو اننا قادمون لانقاذها فاطمأنت وكل ما أسألك إياه مهلة ثلاثه أيام

– ليكن ما تريدين

– ثم أرجوك أن تذهب مع ريبو فى صباح غد الى منزل المركيز فان الخادم الذى اؤتمن على الأختام لا يمنعك عن الدخول وهناك يدلك ريبو على المكان المخبوء فيه الوصية فتستولى عليها

ونعم أنها لا تفيدك الآن بعد أن وقفت من أن خطيبتك فى قيد الحياة ولكنى أخاف أن يبحث عنها الكونت ويظفر بها فهو يعلم بوجودها منذ يومين أما أنا فسأفارقك الآن لأن الكونت ينتظرنى

فخرج واياها من ذلك المنزل فعاد الى حيث كان ريبو ينتظره وذهبت هى الى الكونت فدخلت اليه وهى تبتسم دلالاً فقال لها

لقد عرفت منزلتك من قلبى فتأخرت الى الآن حتى خشيت بأن لا تحضرى

قالت انك لا تجد صبراً عن معرفة السر

– لا انكر انى أتوق إلى معرفته ولكن شوقى الى رؤياك أشد

– أحق ما تقول

– وأنت ألا تثقين بقولى

– كيف أثق وأنت لم تقل لى الى الآن سوى انك تحب أن ترانى

– ألا تعلمين انى أحبك يا غانيتا

– نعم ولكنه قد يكون حب ساعة أما أنا فانى أحبك وسأكرهك على أن تحبنى مدى الحياة

– ما ألطف هذا الوعيد وأى شىء أحب الى من أن أتقيد ما حييت

– تريد أن تقول انك تحبنى وأنا أيضاً أريد أن أحبك ولكن بشرط

– ما هو

– هو انك اذا خنتنى قتلتك بطعنة خنجر . لا تضحك فانى أقول الجد وأريد أن يكون حبنا الى الأبد

– سترينني جديراً بهذا الحب يا غانيتا

– بل انك كاذب

– أوضحى ما تقولين

– بل أنت قل لى من هى هذه المرأة التى تعبدها فى حيفرزى

فأسرع الكونت الى ضبط نفسه وقال لها ماذا تقولين انك مجنونة . .

أأنا أحب امرأة فى جيفررى

– يحق لى أن أظن أيها الكونت فانك اذا كنت تحبنى كما تقول ألا يحق لى أن أغار عليك

– بل اكون سعيداً اذا كنت تغارين على ولكنك تسيئين بى الظنون .

– كلا فقد راقبتك لأعلم اذا كان يمكن لى أن أثق بك فوجدت انك تذهب ثلاث مرات فى الأسبوع الى جيفررى وتبيت فيها أتريد أن أذكر لك نمرة المنزل الذى تذهب اليه فكيف تريد أن أثق بك

فلما رأى انها عارفة بذلك المنزل أراد أن يعلم اذا كانت عارفة أيضًا بوجود لوسيانا فيه فقال لها

تقى انه لم تدخل امرأة الى هذا المنزل الا اذا كان ذلك اثناء غيابى فتكون قد دخلت لزيارة صديقى جاك

– هل المنزل لريدال . . أيمكن أن أصدقك هذه المرة

– ثقى انه لجاك

– لقد طمأنتنى ولكنى أراك امتعضت لمداخلتى فى شؤونك فاعلم انى شديدة الغيرة واما أن اكون خليلتك أو لا اكون فاذا رضيت ان اكونها فانى أريد ان يكون لى عليك حق الوفاء كما يكون لك على حق الامانة وان أشاركك فى تلك الثروة التى لا تنال منها درهمًا من غير ارادتى

– لا تحدثينى بغير حبك ولا تذكرى المال فانى لك بكل ما لدى

– بل لنتحدث فان حياتنا المستقبلة موقوفة عليه و بعد فقد خطر لى خاطر فماذا يجب أن أفعل اذا أردت أن اكون دائمًا محبوبة

يجب أن تدعينى أحبك

– كلا بل يجب ان ادعك تتمتع بثروة ابنة أخيك كأنما الشرع قد جعلك وريثها الوحيد ولكن دون أن أمزق الوصية التى هى عندى بحيث تكون هذه الوصية فى يدى خير ضمين لاخلاصك فما تقول

– أقول انى لا أستحق منك هذا الحذر يا غانيتا فاذكرى انى أحبك منذ خمسة عشر عامًا الا يمكن ان تصيع منك الوصية . . انه يجب تمزيقها امامى كى أطمئن

– كلا لا يمكن ان تصيع وهى مخبؤة هنا فى صدرى فقد وضعتها فى كيس من الحرير وحملته تحت قميصى فلا تفارقنى لحظة وكيف أعمل عنها أيها الكونت وهى تحتوى على سبعة ملايين

فاصفر وجه الكونت ثم احمر ثم ضغط بأظافره على باطن كفه كى يمنع نفسه عن الاسترسال الى الحدة فانه رآها جالسة بجانب الجرس وخشى اذا عاملها بالعنف تستغيث فقال لها

انك تسيئين الى اساءة شديدة بسوء ظنك بى فافعلى ما تشائين أيتها الحبيبة فانى أحبك فلا أعارضك ولكن احتفاظك بالوصية لا يجب أن يمنعك عن حبى

على انه اذا كانت غيرتك التى حملتك على هذا الحذر فانى مستعدة

لارالته واذا أردت ان تدهبى الى ذلك المنزل فتعالى معى اليه تجدى ان لا أثر فيه للنساء

فارتعشت وقالت فى نفسها

انه يريد أن يذهب بى الى هناك كى يخلو له الجو ويجودنى من الوصية لاعتقاده أنها معى ثم قالت له

نعم أريد أن أذهب معك فان الغيرة تقتلنى فمتى تريد أن نذهب

قال نذهب غدا مساء فنتعشى هناك

فوافقته على ذلك وافترقا فذهبت من فورها الى روبرت

* * *

فى مساء اليوم التالى بينما كانت لوسيانا جالسة فى غرفتها وهى تفتكر باشارة ريبو فتح الباب فجأة فرعبت وقالت من هذا

وكان الداخل جاك ريدال فقال لها هذا أنا يا سيدتى

وكان نور القمر ينبعث من النافذة فرأى على ذلك النور أن طعامها لا يزال على المائدة فقال لها

أرى أنك لم تتعشى بعد وسنتعشى معًا

وقد رأت أن الشراب أخذ منه وبات شبه سكران فرعبت وتراجعت منذعرة الى آخر الغرفة وهى ترتجف فجلس على كرسى بجانب المائدة وقال لها

أرأيت مبلغ احترامى فانى أعاهدك على أن لا أمسك فانيرى المصباح . . ألا تريدين أن تنيريه . حسنًا فسأنيره أنا

وقد أنار المصباح وهو يترنح من سكره ثم فتح زجاجة من الشمبانيا فملأ كاسين وذهب اليهـا بواحد منها فأخذت منه الكأس وضربته به على وجهه فسال الدم من فمه

ولما رأى ذلك هاج ثائرة وجعل يطاردها فى الغرفة وهى تهرب منه حتى اذا أوشك أن يقبض عليها دوت الغرفة بصوت البارود وأصيب جاك برصاصة فى قلبه فسقط قتيلاً على الأرض وتلا ذلك الصوت صوت دى انتراك فقال

لوسيانا هو دا أنا

***

كان الكونت وغانيتا قد التقيا فى المحطة واتفقا على أن يتقدمها الى المنزل ثم توافيه بعد عشر دقائق كى لا يراهما الناس معًا فأعطاها المفتاح وافترقا عند وصولهما الى المحطة فذهب هو الى المنزل ولبثت هى فى المحطة

و بعد هنيهة خرج رجلان من القطار كان أحدهما روبرت فذهبت اليهما وقال لها روبرت

اننا لا نزال على اتفاقنا اليس كذلك

قالت نعم فانكما تنتقلان من موضعكما قبل أن أدعوكما فانى أخرج الى المشرق لحجة من الحجج فتسرعان الى أن يكون الكونت فى تلك الساعة سكران

على انه اذا اتفق وجود ريدال وأراد الاثنان أن يجنحا الى القوة

استغيث ولكنى لا أدعهما يصلان الى هذا الحد

واذا اتفق أنه حدث ما يدعو الى مداخلتكما دون أن أستغيث فافعلا ما يجب

وقد تركتهما وذهبت الى ذلك المنزل فاستقبلها الكونت خير استقبال ودخل بعدها روبرت وريبو فلبثا مختبئين فى الحديقة

و بعد هنيهة خرج كاباريت من الحديقة لبعض الشؤون فأسرع ريبو فأقفل بابها وقطع حبل الجرس ثم عاد الى روبرت فقال له لقد أصبحنا اثنين ضد اثنين فلنخرج من مكمننا ولنراقب

وقد وقفا فى مكان يشرف على غرفة المائدة ورأيا غانيتا جالسة بين الكونت وريدال وهمـا يشربان ثم رأيا جاك ريدال خرج من غرفة المائدة يترنح سكراً وذهب الى المكان الذى تقيم فيه لوسيانا فاضطرب روبرت وقال

ألا ترى أن الشقى قد ذهب الى غرفتها وهو سكران فهلم بنا

قال صبراً يا سيدى الى أن تبدو غانيتا

قال لا أجد مجالاً للصبر

قال اذن أمهلنى لحظة

وقد أسرع فجاء بسلم طويلة من الخشب كانت فى الحديقة فوضعهـا على جدار النافذة التى كانت لوسيانا تقيم وراءها وعند ذلك سمع الاثنان صوت استغاثة لوسيانا فوثب روبرت الى السلم وتسلقها الى أن وصل

الى النافذة ورأى ريدال يطارد خطيبته فصوب اليه مسدسه وأطلق النار عليه فارداه قتلاً

ودخل ريبو الى تلك الغرفة بعد أن صرع الخادمة التى كانت تحرس الباب»

أما الكونت فانه حينما سمع دوى الرصاص وقف مضطرباً وقال لغانيتا ألم تسمعى

قالت نعم فقد خيل لى أنى سمعت دوى بارود

فحاول الذهاب الى مصدر الصوت ولكنها منعته قائلة ابق هنا يا كونت ولا تعرض نفسك للخطر

قال ولكن ريدال لم يعد ولا بد لى من الدفاع عنه فانى أخشى أن يهاجموه

- لماذا تخاف أن يهاجموه فان الصوت حرج من الطريق فلا تخرج أيها الكونت

- ولكنه لم يعد وأريد أن أراه

- ابق . ابق أيها الكونت فانى خائفة عليك

وكانت غانيتا تريد أن تطيل الوقت فتعلقت به وقالت له

ابق لا تفارقنى فانى خائفة

- دعينى أذهب

وعند ذلك سمعت غانيتا وقع خطوات فتركته ولكنه بدلاً من أن

يتقدم تراجع منذعراً الى الوراء اذ رأى روبرت دى لنتراك داخلاً وخطيبته متوكأة على ذراعه ووراءها ريبو مشهراً سلاحه وهو يبتسم ابتسام المنتصر

أما روبرت فانه تقدم من الكونت وقال له ان جاك ريدال مات ولك أن تختـــار بين السجن والانتحار فاذا فضلت الانتحار على العار فاقتل نفسك بهذا الخنجر

ثم أشار الى غانيتا وخرجوا جميعهم من تلك الغرفة وبعد دقيقتين عاد روبرت الى تلك الغرفة فلقى الكونت قتيلاً مضرجًا بدمه

وعادوا جميعهم الى باريس واجتمعت بهم الكونتيس فكان سرورها لا يوصف بنجاة صديقتها

أما روبرت فانه قال لريبو اذهب الآن حراً فانك أعنتنى على انقاذ خطيبتى وان أباها يغفر لك جريمتك ثم قال لغانيتا

اننا مدينون لك بسعادتنا فثقى أننا لا ننسى هذا الجميل

فتنهدت وقالت كلا وا أسفاه انكم لستم مدينين لى بشىء ومع ذلك فانى التمس ملتمسًا منك ومن خطيبتك

قال ما هو

قالت هو أن تأذنا بأن تبقى بنتى فى ذلك الضريح المقيمة فيه الآن كى اعلم انها هى فابكيها وهذا كل عزائى

قال انى أعدك باسم لوسيانا أن تبقى فى ذلك الضريح

وفى اليوم التالى نقض صك وفاة لوسيانا ثم تزوج الخطيبان وعاشا أسعد عيش خلافاً للكونتيس فقد قضت حياتها أرملة لأنفتها من الزواج بعد ما لقيته من الكونت

وأما ذلك الضريح فقد كان يزين كل يوم بالأزهار وكانت تلك الأزهار منقسمة الى قسمين قسم كتب فيه « الى أبى » وقسم كتب فيه « الى ابنتى » فكانت غانيتا تزور هذا الضريح كل يوم ولم تكن تسقى هذه الأزهار الا بالدموع

تمت

ويليها رواية « ملك النَّوَر »

تاريخ
فلاسفة الإسلام
في المشرق والمغرب

نشرت مكتبة المعارف ومطبعتها هـذا الكتاب وهو يشمل تراجم اثنى عشر فيلسوفاً اسلامياً وشرح مبادئهم وتحليل أفكارهم ومؤلفاتهم ومقارنتها بالفلسفة الافرنجية وهو واقع فى أكثر من ٣٥٠ صفحة وهؤلاء الفلاسفة هم : —

الكندى — الفارابى — ابن سيناء — الغـزالى — ابن باجـه
ابن طفيل — ابن رشـد — ابن خلدون — اخوان الصفاء
ابن الهيـثم — محيي الدين بن العربى — ابن مسكويه

وهذا الكتاب المنسق تنسيقاً علمياً حديثاً لا يستغنى عنه الطالب والعالم والأديب وقد عانى فيه مؤلفه تعباً كبيراً وقضى فى تأليفه وتنظيمه وتبويبه زمناً طويلاً فجاء جامعاً شاملاً نادر المثال بل لم يسبق تأليف مثله فى اللغة العربية

يطلب من ملتزم طبعه ونشره نجيب متري صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها

ثمن النسخة بغلاف ٣٠ قرش صاغ ومجلدة ٣٥ قرش صاغ
واجرة البريد عن النسخة ٤ قروش داخل القطر و ٥ قروش خارج القطر

كيف تعيش ماية سنة

او قانون الصحة العام

بقلم الأستاذ البارع نجيب افندى المندراوى المحامى

يتضمن هـذا الكتاب أقرب وأضمن الطرق العملية لحفظ الصحة وإطالة العمر . والصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلاَّ المرضى

آلة العيش صحةٌ وشبابٌ فاذا ولّيا عن المرء ولّى
واذا الشيخ قال أفٍّ فما ملَّ حياةً وانما الضعفَ ملاَّ

وهو منسق تنسيقًا بديعًا قريبًا لأفهام الجمهور على اختلاف درجاته ويقع فى نحو أربعمائة صفحة فهو سفر نفيس وخير رفيق للأفراد والعائلات

ثمن النسخة ١٠ قروش صاغ واجرة البريد قرشان

النظام المنزلى

تأليف فرنسيس افندى ميخائيل

فيه أبحاث وافية فى المسكن وأثاثه ، وغرف النوم ، والمطبخ وأدواته ، والمصروفات البيتية الى غير ذلك من الأمور التى يجب أن تلمّ بها تماء الالمام كل ربة منزل تستحق هـذا الاسم . وهناك صور عديدة تبين الترتيب الواجب التعويل عليه

ثمن النسخة ٦ قروش صاغ وأجرة البريد قرشان

التدبير المنزلي الحديث

الجزء الأول — الجزء الثاني

تأليف فرنسيس افندى ميخائيل

علم تدبير المنزل أخذ دوراً كبيراً فى برنامج التعليم الحديث للبنات لما يترتب عليه من تربية الفتاة على النظام ومعرفة شؤون المنزل الذى سيكون مملكتها فيجب عليها أن تعرف كيف تديرهُ . وقد أُعيد طبع هذا الكتاب أربع مرات لكثرة اقبال المدارس وربات المنازل على اقتنائهِ ، وهو مزين بصور تمثل بعض موضوعاته

ثمن الجزء الاول ٨ قروش صاغ } واجرة البريد قرشان ونصف عن كل جزء
« « الثانى ٦ « « }

الطبخ المنزلي الحديث

تأليف السيدة منيرة فرنسيس

قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارس البنات تعميماً لفوائده . ولقد ظهرت منه الطبعة الحديثة المنقحة ومطبوعة طبعاً جميلاً . وهو من الكتب الفريدة النافعة التى لا تستغنى عنها الفتاة فى مدرستها والسيدة فى منزلها

ثمن النسخة ٨ قروش صاغ وأجرة البريد قرشان

الفتاة والبيت

للسيدة . ج . س . دوبوك

بقلم أنطون بك الجميّل

الكتب الخاصة بتربية الفتاة كثيرة لدى جميع الأمم التى نالت نصيباً وافراً من الرقى الأدبى والمادى . وقد عالج هذا الموضوع الجليل عظماء المفكرين لما رأوا فيه من الارتباط بالحياة القومية والتأثير فى تكوين أخلاق الشعوب

ومما تفرد به كتاب الفتاة والبيت أنه يتناول موضوع تربية الفتاة من وجهاته المتعددة فهو منسق على منوال ينطبق على الحياة الشرقية والعادات القومية ويجمع الى قواعد التربية الأدبية شروط التدبير المنزلى فهو جدير بأن يكون فى مكتبة كل بيت و بأن تتناوله كل فتاة وكل ربة منزل

ثمن النسخة ٧ قروش صاغ واجرة البريد قرشان ونصف

ولقد قررت وزارة المعارف العمومية بمصر تدريسه بمدارسها

ربة الدار

هو كتاب وضعته حضرة الكاتبة المجيدة السيدة ملكة سعد صاحبة مجلة الجنس اللطيف . ومن علم بفضل السيدة المذكورة فى عالم الأدب وما قامت به من الخدم الجليلة لبنات جنسها واختباراتها فى الحياة كمحررة وزوجة ووالدة أمكنهُ أن يقدر قيمة هذا الكتاب الذى هو حاجة العصر لأنهُ عبارة عن دائرة معارف جمعت أحسن ما وضع علمًا وعملاً لفائدة البنات فى مدارسهنّ والسيدات فى دورهنّ إذ يستطعنَ بواسطته اتمام الوظيفة الخطيرة التى وجدنَ لأجلها فى الحياة على أكمل ما يكون

فمن أبحاثه الاقتصاد المنزلى وصفات ربة الدار والمسكن وترتيبه ، والغسل ، والكى ، وتنظيف الملابس ، والنفقات المنزلية ، وسياسة الخدم ، والأشغال اليدوية بأنواعها ، وتفصيل الملابس ، واعداد الطعام من اللحوم والطيور والخضر والكوامخ والسمك والحلوى بأنواعها ، والمربى بأنواعها ، والشراب بأنواعه ، هذا عدا الفوائد المنزلية الجامعة والاسعافات الطبية الهامة التى لا غنى للمرء عنها

ثمن النسخة ١٠ قروش صاغ وأجرة البريد ثلاثة قروش

الثورة الفرنساوية

تأليف
اسكندر دياس الكبير

تعريب
فرح أنطون

هذه الرواية من أشهر ما ألّف الروائيون وأهمه اجتماعيًا وألذ مطالعة تقرأها فتكون كامرء عاش إبان الثورة الفرنساوية التى لم تنحصر نارها فى فرنسا بل تطايرت شرارتها الى العالم أجمع ؛ وفيهـا من مشاهد الظلم والاستبداد ومقاومتهما ببسالة واقدام ما يجعلها جديرة بتسمية جزئيها الأولين (نهضة الأسد) والثالث (وثبة الأسد) والرابع (فريسة الأسد) فالرواية واقعة فى أربعة أجزاء تستغرق نحو ٧٠٠ صفحة ومع أنها كبيرة الحجم فان رواجها والاقبال الذى تم لها فى الماضى حملنا على إعادة طبعها مزينة بالرسوم ومضافاً فى حواشيها سير بعض المشاهير الذين كان لهم شأن فى الثورة فنقدمها الى القراء عروساً زاهية خالدة الجمال بين الروايات

ثمن النسخة كاملة ١٨ قرشاً صاغاً وأجرة البريد أربعة قروش

غرائب الاتفاق

بقلم الروائى الشهير

المرحوم شاكر شقير

٤ أجزاء تقع فى ٨٠٠ صفحة بالقطع الكبير

إنَّ الحكايات كنزٌ يستفيد به ذو الجهل عقلاً وأهل العلم آدابا
فاحرزْ حقائقها وادكر بها حكماً أسرارها فتحت للعقل أبوابا

إن هذه الرواية من خيرة الروايات التى تشوق مطالعتها ولنا فى شهرة معرّبها الكاتب القدير المرحوم شاكر شقير ما يغنى عن الإسهاب عنها.

وقد راجت رواية « غرائب الاتفاق » بين قراء العربية كل رواج

ثمن الاجزاء الاربعة ٣٠ قرشاً صاغاً وأجرة البريد أربعة قروش

لويس الحادى عشر

رواية تمثيلية للشاعر الفرنسى كازمير ده لافين نقلها الى العربية كاتب متفنن وشاعر رقيق هو الياس افندى فياض الذى طالما أتحف المسارح العربية بكل رواية جميلة شائقة

ثمن النسخة ٥ قروش صاغ وأجرة البريد قرشان

الحقيبة الزرقاء

بقلم بقولا افندى الحداد

« إذا وقع شعاع الشمس على بلّورة انعكس عنهـا منحلاً الى ألوان الطيف الشمسى السبعة كما ترى فى قوس قزَح . كذا الحب إذا وقع شعاعه على قلبٍ انعكس عنه منحلاً الى عدة مزايا بشرية كالشمم وطلب العلى والاقدام الى غير ذلك » هذا هو مغزى هذه الرواية الجميلة !

ثمن النسخة ٥ قروش صاغ وأجرة البريد قرشان

المروءة والوفاء

رواية شعرية تمثيلية جاهلية من نظم الطيب الذكر والأثر المرحوم الشيخ خليل اليازجى . وموضوعها من أشهر وقائع ملوك العرب فى الجاهلية مثّل فيها مؤلفها حادثة النعمان ابن ماء السماء فى يومى بؤسه ونعيمه وما جرى له مع حنظلة الطائى وقراد الكلبى . وقد أعدنا طبع هذه الرواية ثانية وصدّرناها بصورة المؤلف و بقصيدة من نظمه فى أصول فنّ الروايات التمثيلية وقواعدها

ثمن النسخة ٦ قروش صاغ وقرشان أجرة البريد

*

أنا
أو ابن العصر

بقلم محرر الغزالة

يتضمن هذا الكتاب أفكار انتقادية للعادات المستهجنة والأخلاق الذميمة بأسلوب حسن وتعبير رقيق وهو مكتوب فى قالب روائى جميل تغلب فيه اللهجة العامية المصرية وتلذ مطالعته كثيراً لما فيه من الأفكار اللطيفة والانتقادات الظريفة

ثمن النسخة ٤ قروش صاغ وأجرة البريد قرش ونصف

عشق
المرحوم مصطفى كامل باشا
وأسماء عشيقاته

بقلم ا . ف .

رواية رمزية جليلة المعانى فيها كثير من العبَر والحِكم يدور موضوعها على نبذة جميلة من تاريخ حياة المرحوم مصطفى باشا كامل الزعيم المصرى العظيم منذ نشأته الى حين ظهوره بذلك المظهر الكبير الذى خلّد ذكره ووضعهُ فى مقدمة الزعماء المجاهدين فى خدمة الوطن

ثمن النسخة ٥ قروش صاغ وأجرة البريد قرشان ونصف

جان جراى
او
ضحيـــة الانتقام

تأليف
ألفونس بروت

تعريب
الشيخ بولس مسعد

هى رواية تاريخية أدبية دات وقائع تأخذ بمجامع القلوب ومواضيع تجمع إلى التخيُّلات الشائقة والفكاهات اللذيذة والاستنباطات المدهشة. وقعت فى انجلترا على أثر وفاة هنرى الثامن ولعهد أدوارد السادس وكان ذلك فى منتصف القرن الخامس عشر الذى شهد أفظع الروايات الدموية ولا سيما فى انجلترا والمانيا

ثمن النسخة كاملة ١٠ قروش صاغ وأجرة البريد ٣ قروش

الصديق المجهول

بقلم نقولا افندى الحداد

رواية مصرية عصرية أدبية غرامية فيها أحسن تمثيل لفوز الفضيلة على الرذيلة فى معترك هذه الحياة، وتمتاز على سواها بأنها تمثّل الوقائع فى صورة الحقيقة مما يهم كل شرقى الاطلاع عليه عدد صفحاتها ٢٥٠

ثمن النسخة ٦ قروش صاغ وأجرة البريد قرشان ونصف

العالم الجديد

رواية العجائب والغرائب الأميركية

تأليف الروائى الشهير نقولا الحداد •

تُصوّر لك جميع مظاهر الحياة الاجتماعية الأميركية من أبهة الغنى العظيم . ومجد المال اللامع . وبحر السياسة الهائج . وحرب الأحزاب السياسية الساحقة . والصراع الهائل بين أرباب المال والعمال . وفنون المكان والدسائس بين ذوى النفوذ وعجائب الاختراعات وغرائب العوامل العرفانية

وفوق كل ذلك ترى كيون إله الحب يرفرف هنا وهناك مصفقًا بجناحيه يقيم ذلك العالم الجديد ويقعده . والرواية تقع فى ٢٢٤ صفحة من القطع الكبير

ثمن النسخة عشرة قروش صاغ خلاف أجرة البريد

عُطَيل

عُطَيل من روايات شكسبير المشهورة وقد ترجمها الى العربية شاعرنا المشهور خليل بك مطران ترجمةً تنطبق على الأصل أجمل انطباق فجاءت كالحسناء وظلّها فى المرآة

ثمن النسخة ٤ قروش صاغ وأجرة البريد قرشان

مذكرات هندنبرج

عن الحرب العظمى

وضع القائد الألمانى العظيم هندنبرج هذه المذكرات التاريخية وضمنها ما شاء فنه وعلمهُ واختياره من الحقائق والحوادث التى تخلّلت أشهر الوقائع الحربية فى الحرب العظمى وما كان من حركات الجيوش الجرارة وأسرار الهجوم والدفاع وأسباب الانتصار والانكسار بين الكرّ والفرّ فى السهول والجبال والخنادق والأودية ،فى الهواء والماء وغير ذلك من الأخبار والحوادث المملوءة بالجلائل العظام والأهوال الجسام ، فالذى يطالع هذه المذكرات تتجلّى أمامه أعظم وقائع الحرب العظمى ومعاركها كما وقعت تماماً وتنكشف له أسرار وأمور كثيرة يلذ الاطلاع عليها وهى فى جزئين فى نحو أربعماية صفحة من القطع الكبير

ثمن الجزئين عشرة قروش صاغ خلاف أجرة البريد

الشعب والقيصر

مأساة تمثيلية حماسية غرامية وطنيـة تنطبق على كثير من الأحوال الحاضرة . وهى من أوضاع فولتير الروائى الفرنساوى الشهير وقد ترجمها الى العربية الكاتب البارع جورج افندى طنوس فجاءت آية فى حسن السبك ونالت شهرة بين الروايات التمثيلية

ثمن النسخة قرشان صاغ وأجرة البريد قرش ونصف